

في الحضانة لهما لامية

اللغة العربية والخط
والمآثر العلم والمكتبات
الترجمة والتأريخ

د. حنان قرقوت



اللغة العربية والخط
أماكن العلم والمكتبات
الترجمة وآثارها

في ألف سنة للهجرة النبوية

مصورات

مكتبة الصدوق



اللغة العربية والخط
والمآثر العلم والمكتبات
والترجمة وآثارها

د. حُنا ج. قرقوت

م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
1427 هـ – 2006 م

مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - خارج اميل احد - بناية سلام - ص.ب. 113/6311
تلفون 791123 (01) - فاكس 791124 (01) بيروت - لبنان
بريد إلكتروني majdpub@terra.net.lb

ISBN 9953-463-03-4

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾⁽¹⁾.

قال رسول الله ﷺ:

"الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"⁽²⁾.

وقال المصطفى ﷺ :

"ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"⁽³⁾.

وقال ﷺ أيضاً:

"من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"⁽⁴⁾.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال:

"تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة"⁽⁵⁾.

(1) سورة العلق، الآية 1 - 5 .

(2) الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ت. 279هـ.)، سنن الترمذي، ج 5، ص 51، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ل.ت..

(3) القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت. 671هـ.)، تفسير القرطبي، ج 1، ص 8، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط 2، القاهرة - مصر، 1372هـ..

(4) الترمذي، المرجع السابق، ج 5، ص 29.

(5) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت. 656هـ.)، الترغيب والترهيب، ج 1، ص 52، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت - لبنان، 1417هـ. - وانظر الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 1، ص 11، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1402هـ./1982م..

الإهداء

إلى فلذات أكبادنا... الذين نظروا إلى الحضارة
الغربية... ولم ينظروا إلى ما قدمته حضارتهم إلى
الإنسانية... أهدي هذه الدراسة.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، شَرُفَت اللغة العربية بأنها لغة التنزيل القرآني، فانتشرت حيثما انتشر الإسلام في مختلف بقاع المعمورة، وأولاهها المسلمون جل اهتمامهم فعمدوا إلى ضبطها والعناية بها.

كما اهتموا أيضاً بالخط العربي الذي صاحب انتشار اللغة منذ فجر الدعوة، وبلغ شأواً بعيداً حيث صارت تكتب به لغات غير عربية، وتضمّن الخط العربي العديد من الأنواع.

ومع انتشار الإسلام وتوسع رقعة الدولة الإسلامية وحثّ الدين الحنيف على طلب العلم ، انتشرت العلوم في العديد من الأماكن التي كانت مراكز أشعاع لنور الحضارة على مدى التاريخ الإسلامي.

وكان انتشار دور الكتب وتشجيع العلم محطّ اهتمام الخلفاء والأمراء، ومن ثمّ كبار الأغنياء وحتى العلماء والقارئين والطلبة في بعض الأحيان.

هذا التراث الإنساني تعرّض لنكبات عدة كان لها أثر كبير على ضياع الكثير منه، وبنت هذا التراث الزاخر الأمة الإسلامية التي برعت في

العديد من العلوم لعصرها كان أكثره مستمداً من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ.

وكان لنشر المعارف والعلوم بين الشعوب تلك اللمسة التي اهتم بها المسلمون ألا وهي حركة الترجمة إلى اللسان العربي والتي كانت لها إسهاماتها في نقل العلوم التي انتشرت قبل الإسلام خاصة عند الإغريق والهنود وغيرهم.

وجاءت حركة الترجمة والنقل عن الأمم السالفة منسقة غير عشوائية كي لا تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي. فمثلاً لم تنقل كتب الإلياذة والأوديسة عن اللسان اليوناني لأنها ملاحم أسطورية إلهية لم تفد البشرية بأي شيء، إنما أخذت عن حضارة اللسان المذكور ما يتلاءم ويفيد المجتمع الإنساني.

ومع ترجمة العلوم لم يقف المسلمون عند حد الترجمة للمجهود الفكري الذي قام به السابقون بل عمدوا إلى تطوير العلوم التي انتشرت تبعاً لعصورها وعلى مختلف الصعد، وذلك أن الإسلام يرفض التبعية الفكرية والتقليد الأعمى. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ تَبْصِرَةٌ وَتَذَكُّرٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ ۖ﴾⁽¹⁾.

فهنا دعوة للنظر والتبصر والبحث والتقصي عما يدور حول الإنسان وفي نفسه فكانت الدعوة للبحث العلمي الذي برع فيه المسلمون ووضعوا له أسساً قيّمة.

(1) سورة الذاريات، الآية 20 - 21 .

وفي مرحلة لاحقة من التاريخ الإسلامي كان لحركة الترجمة للعلوم الإسلامية إلى اللغات الأوروبية أثره في نشر المعرفة والعلوم في مختلف البلدان الأوروبية.

د.حنان قرقوتي شعبان

الفصل الأول

اللغة العربية والخط

تمهيد

شرفت اللغة العربية بكونها اللغة التي أنزل الله بها القرآن الكريم على رسوله محمد ﷺ، وقد ساهمت هذه اللغة بنصيب وافر في الحضارة الإسلامية، واتسعت بعد ذلك لكل أنواع العلوم وأضحت فيما بعد وسيلة التفاهم والتخاطب لدى كثير من الشعوب التي دخلت في الإسلام، وأصبحت صورة من صور الحضارة ومرآة للوضع الحضاري السائد في العصور الوسطى.

وبانتشار الفتوحات زمن الخلفاء الراشدين، وزمن الأمويين. صارت اللغة العربية لغة تخاطب، بين الناس الذين دخلوا في دين الله أفواجا، واستعمل حرفها العربي في كافة الأرجاء، إضافة إلى اللغة المحلية التي كانت تُستعمل في البقاع المفتوحة، حتى وصلت إلى بلاد الهند⁽¹⁾؛ حيث استعمل السكان المسلمون الحروف العربية في كتاباتهم. كما أن اللغة الأوردية المعدودة من أشهر لغات الباكستان لا تزال تدوّن بالأحرف العربية حتى الآن، وكذلك الفارسية وغيرها من اللغات الأخرى⁽²⁾.

وعلى العموم فإن اللغة العربية انتشرت في سائر الأقطار وأصبح لها الأثر الكبير حيث دُونت بها الحضارة الإسلامية، وكان من رواد هذه الحضارة العربي وغير العربي، المسلم والذمي⁽³⁾، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن جابر بن حيان وابن الهيثم وابن خلدون كانوا عرباً، أما الفارابي وابن سينا وفتركيان، فيما الخوارزمي والغزالي فارسيان، وغيرهم كثير أمثال محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم ابن الحجاج النيسابوري

(1) يوسف نويهض، الموجات الحضارية بين العرب وسكان شبه القارة الباكستانية الهندية، مجلة الوعي، العدد 2، ص 39، الكويت - الكويت، أيار 1967م..

(2) يوسف نويهض، المرجع السابق، ص 39.

(3) الذمي: غير المسلم الذي يعيش كمواطن في دولة الإسلام.

وأبو عيسى الترمذي علماء الحديث الشريف، وسيبويه الفارسي عالم العربية، والإدريسي الصقلي عالم الجغرافية إلخ.. وجميعهم كتبوا باللغة العربية لأنها كانت لغة الثقافة في العصور الوسطى. حتى أن موسى بن ميمون اليهودي، وحُنين بن إسحق الآرامي، وثابت بن قرة الصابئي الكلداني جميعهم كانوا من كتّاب العربية. وانتشرت اللغة العربية في أنحاء العالم غير الإسلامي أيضاً لدرجة أن كتّاب القانون في الطب لابن سينا على سبيل المثال قد طبع في مدينة روما باللغة العربية، لغة التأليف، وكان يُدرّس بالعربية في جامعة سالرنو الإيطالية⁽¹⁾.

اللغة العربية وضبطها:

في صدر الإسلام لم يكن يكتب العربية غير بضعة عشر إنساناً، وسرعان ما لفت الرسول ﷺ أعين المسلمين إلى ضرورة تعلم الكتابة، وتحلى ذلك في أسرى بدر حيث كان من يعرف الكتابة ولا يملك ما يفتردي به نفسه، عليه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة لقاء حريته.

بعد ذلك عمد المسلمون إلى ضرورة ضبط اللغة، فبادروا إلى التقاطها، من البادية يطرقون منازل أهلها ويشهدون محاوراتهم ويتتبعون آثارهم ويستنتقون أطلال ديارهم حتى وقفوا على ما كان متفرقاً من لغاتهم، وقيدوها في الصحف بطريق الرواية والإسناد.

وكانت حروف الكتابة في أول الأمر موضوعة بغير علامات⁽²⁾، وظل الناس يقرؤون في مصحف عثمان وهو بتلك الكتابة نحواً من أربعين سنة حتى كثر التصحيف لوجود الحروف المتشابهة⁽³⁾.

(1) د. عمر فروخ، الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، ص 16، دار لبنان، ط3، بيروت - لبنان، 1983م..

(2) حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله، 1017 - 1067هـ.)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج3، ص 154، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413هـ. / 1992م..

(3) ابن خلكان، المرجع السابق، م 1، ص 175.

فعملد اللغويون إلى ضبط الحروف لتسهيل أمر قراءتها، وقد أجمع المؤرخون على أن أبا الأسود الدؤلي⁽¹⁾ هو الذي ضبط القرآن الكريم بالشكل متخذاً النقط للدلالة على الحركات.

وفي أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي شاع أسلوب جديد مختلف عن أسلوب أبي الأسود الدؤلي، الذي يختلط أمره بنقط الإعجام، هذا الأسلوب قام على اختصار حروف العلة (الألف - الواو - الياء)، فنبات عنها الفتحة والضممة والكسرة في بعض رموزها وهي التي تستعمل الآن.

ويقال إنها من وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي⁽²⁾، وقيل هي الحركات الثمانية (الفتحة - الكسرة - الضمة - السكون - الجزم - الشدة - المدة - وعلامات الصلة والهمزة) التي وضع ثلاثاً منها الخليل والباقيات وضعت فيما بعد.

أما عن ترتيب الحروف العربية، فقد قيل: إن أول من ألف بين حروف الخط العربي ستة أشخاص من طسم في الجزيرة العربية كانوا نزلاء عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم: (أبجد، هوز، حطي، كلمن،

(1) أبو الأسود الدؤلي: (40 - 95هـ. / 660 - 713م.) من القادة الأمويين، ولي مكة والمدينة والطائف في عهد عبد الملك بن مروان، ويقال إنه تلقى أصول علم النحو من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - د. عزيزة فوال بابتي، التطور الحضاري (من بدء خلافة الراشدين إلى نهاية خلافة الأمويين)، ص141، دار الشمال، طرابلس - لبنان، ل.ت..

(2) الفراهيدي: (100 - 170هـ. / 718 - 786م.) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم الفراهيدي، من عُمان جنوبي الجزيرة العربية بجانب اليمن، وهو من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض الذي أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها، وكان أستاذاً سيبويه النحوي. له كتاب العين في اللغة، ومعاني الحروف، وجملة آلات العرب، وتفسير حروف اللغة، وكتاب العروض، وغيرهم - لمزيد من التفصيل انظر خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستشرقين والمستعربين، م2، ص314. دار العلم للملايين، ط10، بيروت - لبنان، 1992م..

سعفص، قرشت)، فوضعوا الكتابة على أسمائهم. وعندما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست من أسمائهم ألحقوها بها وسموها الرواذف وهي: (تخذ- ضغط)، ثم انتقلت عنهم إلى الأنبار، ثم انتشرت بعد ذلك عند العرب.

ويرجح أن العرب غيروا هذا الترتيب في القرن الثاني أو الثالث الهجري/ الثامن أو التاسع الميلادي، ومنهم من يذهب إلى أن نصر بن عاصم- الليثي- ويحيى بن يعمر- العدواني تلميذا الخليل ابن أحمد الفراهيدي- هما اللذان غيرا هذا الترتيب وقتما أوصاهم الحجاج بوضع علامات لتمييز الحروف المتشابهة فرتبوا الحروف على النحو التالي: أ- ب- ت- ...⁽¹⁾.

وضبط اللغة كان ضرورياً لما يحتاج إليه العلماء من حفظ الحديث وتفسير القرآن الكريم بما دونوه من لسان قريش وغيرهم.

"وأول من دوّن اللغة مجموعة في كتاب واحد الخليل بن أحمد⁽²⁾، وقد ضمن كتابه⁽³⁾ أصول اللسان العربي وقيد ألفاظه في مواضعها في

(1) علي روائ، الخط العربي، نشأته، تطوره، قواعده، خط الثلث والنسخ، ص 20- 21، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ل.ت.- وانظر أحمد عبد الله سرحان، حرفنا العربي وأعلامه العظام عبر التاريخ، ص 56، الحقيقة برس، بيروت - لبنان، 1988م..

(2) الخليل بن أحمد: الفراهيدي منشئ علم العروض، أخذ عنه سيبويه النحوي، والتّغري بن شُميل، وهارون بن موسى النحوي والأصمعي وآخرون.

ويقال : إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يُسبق إليه، ففُتِحَ له بالعروض، وله كتاب "العين" في اللغة- انظر الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت.748هـ.)، سير أعلام النبلاء، ج7، ص 429- 430، تحقيق الأبياري، وقرئ على د. طه حسين، يخرجه معهد المحفوظات بجامعة الدول العربية بالإشتراك مع دار المعارف، ذخائر العرب (9)، القاهرة- مصر، ل.ت..

(3) هو أول معجم كتب في اللغة العربية - جميل نخلة المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، ص 172- 173، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة- مصر، 1935م..

الاشتقاق إلا ما كان دخیلاً علیه فی کلام الأعاجم فإنه اکتفى من ذکره بالإشارة إلى عجميته، وأسند روايته فی ذلك كله إلى أكابر الحفاظ ولذلك صار قوله حجة یرجع إليها، ثم دونها بعده كثير من العلماء، منهم أبو الحسن علي بن حمزة الکسائي مؤدّب⁽¹⁾ الأئمين والمأمون من أولاد الرشيد، ومنهم سيبويه⁽²⁾ والفراء⁽³⁾ والأخفش⁽⁴⁾.

النحو:

مع ظهور الاهتمام باللغة العربية ظهر علم النحو لاتصاله مباشرة بالقرآن الكريم. وظهرت "الخطوات الأولى فی ذلك خدمة لكتاب الله عز وجل، لحمايته من اللحن والتصحيف، ثم تطورت فشملت بلاغته وإعجازه، وتعدت لدراسة تأويله وتفسيره، ثم دراسته دراسة صوتية لمعرفة مخارج الحروف وتأثير بعضها فی بعض. وبالنظر إلى كتاب سيبويه⁽⁵⁾ باعتباره أول كتاب فی نحو العربية يصل إلينا نجده يشتمل على هذه العلوم

(1) مؤدّب: مُرَبٍّ وَمُوجِّهٍ وَمُعَلِّمٍ.

(2) سيبويه (148 - 180 هـ. / 765 - 796 هـ.)، هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، من مواليد شيراز. قدم البصرة ولزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه". وكلمة سيبويه بالفارسية تعني: رائحة التفاح - خير الدين الزركلي، المرجع السابق، م5، ص 81.

(3) الفراء: هو يحيى بن عبد الله بن منظور الديلمي، (عاش بين سنة 144 - 207 هـ. / 761 - 822 م.)، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال عنه: إنه أمير المؤمنين فی النحو. ولد بالكوفة وعهد إليه المأمون بتربية ابنه. ومن آثاره "المعاني" ويسمى معاني القرآن، وله كتاب "المقصود والممدود"، وكتاب "اللغات" و"الفاخر" فی الأمثال، و"ما تلحن فيه العامة" و"آلة الكتاب" و"الأيام والليالي" وغيرهم كثير - خير الدين الزركلي، المرجع السابق، م8، ص 145 - 146.

(4) جميل نخلة المدور، المرجع السابق، ص 172 - 173.

(5) سيبويه، كتاب سيبويه (علم الأعلام إمام كل إمام، مالك أزمة الأدب وملك علوم العرب أبي بشر عمرو الملقب سيبويه)، وبهامشه تقارير وزيد من شرح أبي سعيد السيرافي، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، بولاق - مصر المحمية سنة 1316 هجرية.

جميعاً- وإن لم يسمها- ففي الكتاب نحو من أربعمئة آية قرآنية يسوقها
سيبويه للتدليل على بعض قواعد النحو أو طرق التعبير والأساليب اللغوية
المتبعة، وفيه إسناد لعدد غير قليل من أئمة اللغة ورواتها وعلماء الأدب
والقراءات.

وقد حوى الكتاب أصول العربية وفروعها⁽¹⁾. وحول أهميته روى
ابن شقير عن أبي جعفر الطبري قوله: "سمعت الجرمي يقول: أنا مذ
ثلاثون⁽²⁾ سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه، قال:

فحدثت به محمد بن يزيد (المبرد) على وجه التعجب والإنكار
فقال: أنا سمعت الجرمي يقول هذا- وأوماً بيده إلى أذنيه، وذلك أن أبا
عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم سيبويه تفقه في الحديث، إذ
كان كتاب سيبويه يُتَعلم منه النظر والتفيش"⁽³⁾.

ولما كان المعنى اللغوي لكلمة (الفقه) هو الفهم، جاز أن نقول إن
أبا عمر الجرمي فهم الحديث وفقهه بعد الدُّربة والمعاناة في كتاب سيبويه.
وبرهن على قدرته الفقهية التي كان يخرجها على مذاهب النحاة، يقول
الزجاجي: "كان أبو عمر يوماً في مجلسه وبحضرته جماعة من الفقهاء فقال
لهم: سلوني عما شئتم من الفقه فأني أجيبكم على قياس النحو، فقالوا له:
ما تقول في رجل سها في الصلاة، فسجد سَجْدَتَي السهو، فسها؟ فقال:
لا شيء عليه، فقالوا له: من أين قلت ذلك؟ قال: أخذته من باب
الترخيم⁽⁴⁾، لأن المرخم لا يرخم". وليس في الأمر ما يستغرب، فتعلم النحو

(1) د. عوض بن حمد القوزي، الأصوليين الفقهاء والنحاة، مجلة الدارة، السنة 13، العدد 4، ص 9،
الرياض- السعودية، 1408هـ- 1988م..

(2) والصحيح ثلاثين.

(3) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص 90- 91.

(4) الترخيم: "التلين؛ ومنه الترخيم في الأسماء لأنهم إنما يحذفون أو آخرها ليسهلوا النطق بها،
وقيل: الترخيم الحذف؛ ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يحذف من آخره حرف أو
أكثر". وقال الأصمعي: "أخذ عني الخليل معنى الترخيم وذلك أنه لقيني فقال لي: ما تسمي

إنما هو تعلم للقياس، بل إن النحو كله قياس كما قال الكسائي:

إنما النحو قياسٌ يُتَّبَعُ وبه في كل أمر يُتَنَفَّعُ⁽¹⁾

ولقد "عني النحاة بالقياس منذ وقت مبكر، ويمكن القول بأنهم سبقوا الفقهاء إلى ذلك، فعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت. 117هـ. / 735م.)، كان شديد التجريد للقياس، في حين لم يظهر القياس بوضوح عند الفقهاء إلا على يد أبي حنيفة (ت. 150هـ. / 767م.) وتلاميذه أمثال القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي (ت. 182هـ. / 798م.) الذي يعد أول من نشر علم أبي حنيفة، والإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت. 189هـ. / 814م.) الذي يعتبر من أوائل العلماء الذين ربطوا بين مسائل الفقه والنحو، بل ربما يكون الشافعي (ت. 204هـ. / 820م.) أول من رسم الخطوط الأولى لأصول الفقهاء"⁽²⁾.

"ولما كانت النهضة الفكرية مصحوبة بظهور بعض المذاهب المخالفة لعقيدة السلف، ومن أبرزها (الزندقة)⁽³⁾ التي وقف المسلمون من أهلها موقف المنابذة والحذر، مخافة أن تستهوي شبابهم فيضلوا، التبس أمر بعض العلوم ومن بينها النحو على كثير من العامة، الأمر الذي أدى إلى إخراج بعض النحاة واتهامه في عقيدته، فقد روي أن أبا حاتم السجستاني قدم بغداد، ودخل المسجد فسئل عن قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا

= العرب السهل من الكلام ؟ فقلت له: تقول جارية رخيمة إذا كانت سهلة المنطق، فعمل الترقيم على هذا" - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، 12م، ص 234، دار صادر/ دار بيروت، بيروت - لبنان، 1388هـ. / 1968م..

(1) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص 91.

(2) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص 92.

(3) الزندقة: من الزنديق الذي لا يؤمن بالآخرة ووحداية الخالق - ابن منظور، المرجع السابق،

ج 10، ص 147.

أَنْفُسَكُمْ⁽¹⁾ كيف يقال منه للواحد؟ فقال: ق، فسئل عن الإثنين، فقال: قيا، فسئل عن الجمع فقال: قوا، فَطُلِبَ إليه أن يجمعها للسائل، فقال: ق، قيا، قوا.

وكان في ناحية المسجد رجل يسمع ما يدور بين الأستاذ والتلميذ، فقال لصاحبه: احتفظ بثيابي حتى أرجع، وانطلق إلى صاحب الشرطة فقال له: إني ظفرت بقوم من الزنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديك، فما شعر أبو حاتم ومن معه حتى هجم الشرطة عليهم، فأخذوهم إلى مجلس صاحبهم، فسألهم عما كانوا فيه، فتقدم أبو حاتم يقص النبأ عليه، وقد اجتمع خلق ينظرون ما يكون، فعنقه صاحب الشرطة وقال: مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا؟! وضرب أصحابه عشرة عشرة، وقال: لا تعودوا إلى مثل هذا"⁽²⁾.

هذا، وقد حذا علماء العربية طريق المحدثين من حيث العناية بالسند ورجاله وتوجيههم وتعديلهم. "فكانت لهم نصوصهم اللغوية كما كان لأولئك نصوصهم الحديثية، ولهم طبقات الرواة كما لأولئك. ثم احتذوا حذو المتكلمين في تطعيم نحوهم بالفلسفة والتعليل، ثم حاكوا الفقهاء أخيراً في وضعهم للنحو أصولاً تشبه أصول الفقه، وتكلموا في الاجتهاد فيه كما تكلم الفقهاء، وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والإجماع، كما بنى الفقهاء استنباط أحكامهم على السماع والقياس والإجماع، وهذا هو تفسير مقولة أبي البركات الأنباري وهو يتحدث عن أصول الفقه: معقول من منقول"⁽³⁾.

(1) سورة التحريم، الآية 6.

(2) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص 99.

(3) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص 101.

فكما أن الفقيه يعتمد في وضع الأحكام الفقهية على النصوص التي تعب في توثيقها المحدث، كذلك يفعل النحوي عند وضع الأحكام لتلك النصوص اللغوية التي أضنى اللغوي نفسه في جمعها وتَلَقُّطَها من أفواه الأعراب، وكما أن الفقيه يقيس ما لا دليل عليه على ما استقام دليله، فإن النحوي يقيس ما لم يُسمع من العرب على ما سُمع منهم، وهكذا، لأن "أصول اللغة محمولة على أصول الشريعة"⁽¹⁾.

هذا، وكان من أبرز مراكز علم النحو في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي مدينتا البصرة والكوفة اللتان وُضعت فيهما علوم العقائد والفقه، ونشأت مدرسة النحويين واللغويين، وكان فيهما قبائل ذات لهجات مختلفة وكثير من الموالي الفرس، مما عرّض اللسان العربي إلى الفساد ودعا إلى وضع أصول النحو⁽²⁾.

أما أبرز النحاة فكانوا أمثال "أبي الأسود الدؤلي الذي كان شاعراً، قارئاً، حكيماً قبل أن يعرف بأنه أول من صنع في النحو صنعاً، وأبي عمرو بن العلاء"⁽³⁾ الذي كان أحد القراء السبعة المشهورين، وعيسى بن عمر الثقفي الذي عُرف بقراءته المشهورة وحذقه للعربية، والخليل بن أحمد مخترع علم العروض وعنه أخذ سيبويه جُلَّ آرائه النحوية، وسيبويه

(1) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص 101 .

(2) د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 141 .

(3) أبو عمرو بن العلاء، اختلف في اسمه. وكان مولده في نحو سنة سبعين. قرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد، ويحيى بن معمر، وعكرمة، وابن كثير، وطائفة. وبرز في الحروف والنحو، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم. وحدث عنه: شعبة، وحماد بن زيد، وأبو أسامة، والأصمعي، وشبابه بن سوار، ويعلى بن عبيد، وأبو عبيدة اللغوي وآخرون. قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو "كن على حذر من الكرم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجت، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرت. وليس من الأدب أن نجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يُجيبك، أو تُحدِّث من لا ينصت لك- لمزيد من التفصيل انظر الذهبي، المرجع السابق، ج 6، ص 407-409.

كان طالب حديث قبل أن يصبح طالب نحو ولغة، والكسائي كان أحد القراء المشهورين ومؤدياً للخلفاء العباسيين، ثم هو بعدُ رأس النحاة الكوفيين. وفي القرن الثالث الهجري/-التاسع الميلادي- كان أبو العباس المبرد قائد المدرسة البصرية النحوية، وعرف عنه سعة الرواية وحسن الأدب والشعر. وفي القرن الرابع الهجري/-العاشر الميلادي- كان أبو سعيد السيرافي شارح كتاب سيبويه شرحاً حسده عليه معاصروه، وكان فقيهاً نحويّاً، تولى القضاء ببغداد أربعين سنة ولم يأخذ على الحكم أجراً، وغيرهم كثير⁽¹⁾.

لقد كان الواحد من هؤلاء حجة في أكثر من فن، وفي ذلك قال الأصمعي: "حدثني شعبة قال: كنت أختلف إلى ابن أبي عقرب فأسأله عن الفقه، ويسأله أبو عمرو بن العلاء عن العربية، فنقوم وأنا لا أحفظ حرفاً مما سأل، ولا يحفظ حرفاً مما سألته"⁽²⁾.

"فالعالم في زمانهم دائرة معارف متحركة ناطقة، يدور مع طلابه في كل فلك، وتنبجس منه العلوم ثرّة"⁽³⁾ وطالب العلم هو من لم تقتصر همته على حقل واحد من حقول المعرفة. وفي هذا المجال أثر عن السيرافي أنه تعلم القراءات والحساب والعروض والفرائض وغيرها، وحذقها كلها ولم يمت حتى أمكنه الله من تدريسها لمن تلقى مبادئها عنهم .

وكنت لا تجدد مشتغلاً بالقرآن وعلومه، والحديث النبوي وعلومه، أو العلوم الشرعية الأخرى إلا ويكون النحو حجر الزاوية في تكوين ثقافته، وذلك أن النحو من هذه العلوم بمثابة المفتاح لدار مغلقة، فهو الآلة

(1) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص 102 .

(2) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص 102 .

(3) ثرّة: غزيرة، كثيرة.

إلى معرفة كنوز العربية، وفهم أسرار مفرداتها وجملها، وهو أول مباحث الإنسان⁽¹⁾.

وللدليل على ربط الفقه بالنحو ما ورد في رواية للزبيدي حيث يقول: "دخل أبو يوسف على الرشيد والكسائي يمازحه، فقال له أبو يوسف: هذا الكوفي قد استفرعك⁽²⁾ وغلب عليك، فقال: يا أبا يوسف إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي.

فأقبل الكسائي على أبي يوسف فقال: يا أبا يوسف هل لك في مسألة؟ قال: نحو أو فقه؟ قال بل فقه. فضحك الرشيد حتى فحَص⁽³⁾ برجله، ثم قال: تلقني على أبي يوسف فقهاً؟! قال: نعم. قال: يا أبا يوسف ما تقول في رجل قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إن دخلت الدار طلقت. قال: أخطأت يا أبا يوسف، فضحك الرشيد ثم قال: كيف الصواب؟ قال: إذا قال (أن) فقد وجب الفعل، وإذا قال (إن) لم يجب ولم يقع الطلاق. قال: فكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي⁽⁴⁾.

الشعر والنثر:

ومن العربية كان للشعر سمؤٌ اشتهر به العرب على مدى تاريخهم، وكان في شعر الإسلاميين المتقدمين علواً كادوا يسامون فيه أهل الجاهلية، بما اشتهروا به من محاسن البلاغة كالأحوص، وذو الرُّمَّة، وحسان بن ثابت، وعمر بن أبي ربيعة، والقطامي، وجريز، والفرزدق، والأخطل، وغيرهم كثير.

(1) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع السابق، ص 102 - 103 .

(2) استفرع عليك: غلبك بجملة.

(3) فحص: بحث وكشف.

(4) د. عوض بن حمد القوزي، المرجع نفسه، ص 104 .

"فكان لشعرهم من رقة الديباجة والرونق والحلاوة ما لا يظهر إلا في شعر البلغاء من الجاهليين، وربما انتهى بعضهم في المذاهب التي كانوا بها آخذين إلى حيث تقف بلاغة الشعر كذكر الحماسة في كلام حسان ابن ثابت حيث يقول:

لنا الجفّنات العُرُ⁽¹⁾ يلمعن في الضحا وأسيافنا يقطرن من نَجْدَةٍ دما
وكالاستنثار بالفخر في شعر الفرزدق الذي يقول فيه :

ترى الناس إن سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا
وكالتوجع في الرثاء في قصيدة الهذليّ التي يجزع فيها على فقد أولاده إلا صغيراً بقي له، ومن جملة البيت المشهور:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُرِدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ⁽²⁾

كما كان لبعض الشعراء غايات في شعرهم ومنها خدمة اللغة، وخدمة المؤدبين اللغويين القائمين عليها، بما يمدونهم به من الشوارد والشوارد، بحيث أصبحت بعض أراجيزهم كأنها متون للحفظ والتسميع⁽³⁾، وكان منها ما يستعمل لعدة أغراض أخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما ورد في الثلث من الميراث، حيث قال صاحب الرّحبية في "باب من يرث الثلث":

والثلث فرضُ الأمِّ حيث لا ولد	ولا من الإخوة جمع ذو عدد
كاثنين أو ثنتين أو ثلاث	حكم الذكور فيه كالإناث
ولا ابنُ ابنٍ معها أو بنتُهُ	ففرضُها الثلثُ كما يَنْتُهُ
وإن يكن زوجٌ وأم وأب	فثلثُ الباقي لها مرتبٌ

(1) العُرُ: بياض الوجه.

(2) جميل نخلة المدور، المرجع السابق، ص 181 .

(3) د. عزيزة فوال بابي، المرجع السابق، ص 140 .

وهكذا مع زوجة فصاعداً
وهو للاثين أو ثنتين
وهكذا إن كثروا أو زادوا
ويستوي الإناث والذكور فيه

فلا تكن عن العلوم قاعداً
من ولد الأمّ بغير مئّن⁽¹⁾
فما لهم سواه زاد
كما قد أوضح المَسطور⁽²⁾

الخطابة والنثر:

ارتقت الخطابة رقيّاً كبيراً في العصر الأموي، إذ اتخذها الحكام أداتهم للظفر في آرائهم السياسية والانتصار في مجادلاتهم المذهبية، وعولوا عليها في قصصهم ومواعظهم، وفي وفادتهم على الخلفاء والولاة، ومن ثمّ أነعت فيها فروع ثلاثة هي: الخطابة السياسية وخطابة المحافل والخطابة الدينية⁽³⁾.

فالخطابة السياسية كانت ترمز إلى الأحزاب السياسية، فكل حزب كان يتخذ الخطابة وسيلة إلى نقد خصومه وبيان نظريته السياسية واستمالة الناس إليها⁽⁴⁾.

أما خطابة المحافل فقد نمت في العصر الأموي "بحكم نمو السلطان العربي، فكانت الرجال والوفود تقدّم على الخلفاء والولاة لأغراض مختلفة: للشكوى أو للاستمناع⁽⁵⁾، أو للتهنئة أو للتعزية، أو للموعظة أو لغير ذلك من الأغراض، فيلقي الرجال والوفود خطباً يعرضون فيها حاجاتهم.

(1) مئّن: كذب وملق - ابن منظور، المرجع السابق، ج3، ص 111.

(2) لمزيد من التفصيل انظر د. فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، م11، ص329 - 331، دار الغد العربي، القاهرة - مصر، ل. ت.. - المَسطور: القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَكُتِبَ مُسْتُطَوِّرٌ﴾، سورة الطور، الآية2.

(3) د. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص67، مكتبة الدراسات الأدبية 19، دار المعارف، ط6، مصر، 1971م..

(4) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 68.

(5) الاستمناع: طلب المنحة (العطية والهدية).

ومما يدخل في خطابة المحافل خطابة الإملاك والتزويج⁽¹⁾، وخطابة الصلح بين العشائر⁽²⁾.

وتختلف الخطابة الدينية عن الخطابتين السابقتين من حيث أنها فريضة مكتوبة على المسلمين في صلاة الجمعة والعيدين وكان الخلفاء والولاة يؤمّون الناس في تلك الصلوات، وقد ترك هؤلاء الكثير من الخطابات الزاهرة، وكان أخطب الخلفاء في هذا الباب عمر بن عبد العزيز، كما أثر عن الحجاج بن يوسف الثقفي الكثير من الخطب الدينية، وكان دائماً يقول: "أيها الناس إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله"، وللولاة من قبله وبعده مواعظ ترونها كتب الأدب والتاريخ⁽³⁾.

إلى جانب ذلك اهتم المسلمون أيضاً بالرسائل النثرية التي كانت تحرر باسم الخليفة، وتصدر إلى ولاته وعماله في الأقاليم، ذلك الفن الذي نما على يد عبد الحميد الكاتب⁽⁴⁾ الذي يعتبر مؤسس الكتابة الفنية وواضع أصولها⁽⁵⁾، وكان أبلغ كتّاب الدواوين في العصر الأموي وأشهرهم، وقد ضربت ببلاغته الأمثال، فقيل فُتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد. ويقول ابن النديم: "عنه أخذ المترسلون⁽⁶⁾"، ولطريقته لزموا، وهو

(1) خطابة الإملاك والتزويج: خطبة الزواج التي تُلقى عند عُقد القران، وهي من سنن النكاح.

(2) لمزيد من التفصيل انظر د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 70 - 73 .

(3) د. شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص 73 - 74 .

(4) عبد الحميد الكاتب من أصل فارسي، التحق بديوان الرسائل في دمشق زمن هشام بن عبد الملك. واتصل بمروان بن محمد وكتب له أيام كان والياً. فلما آلت الخلافة إليه أقامه على ديوانه، فنهض بالعمل فيه خير نهوض. ولما سقطت الخلافة الأموية في يد العباسيين، فرّ مروان إلى مصر، وفرّ معه عبد الحميد حيث لقيّا حتفهما في موقعة بوصير - انظر ابن خلكان، المرجع السابق، 11م، ص 307.

(5) د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 140.

(6) التّرسل: كتابة الرسائل.

الذي سهّل سبيل البلاغة في الترسل"⁽¹⁾. ويعتبر عبد الحميد القمّة التي وصلت إليها الكتابة الفنية في العصر الأموي، ولم يبق من رسائله إلا منشورات، منها: رسالة وجهها إلى عمال مروان بن محمد بالأمصار يأمرهم بمحاربة لعبة الشطرنج، ورسالة ثانية يصف فيها رحلة صيد، ورسالة تقدم بها إلى الكُتّاب، ضمنها ما ينبغي للكتّاب أن يتقنوه من صنوف المعرفة والثقافة، مما يعطينا فكرة عن الصفات التي يجب أن تتوفر في وظيفة الكتابة في زمنه، إذ لا يستطيع أن يحسن الكاتب وظيفة الكتابة إلا إذا كان ملماً بالثقافة الإسلامية، والثقافة العربية الأدبية من خطابة وغيرها، إلى أخبار الأمم الأجنبية ومعارفها إضافة إلى إتقانه الحساب، ورواية الأشعار والوقوف على غريبها ومعارفها. وفي ذلك قال: "فنافسوا معشر الكتّاب في صنوف العلم والأدب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف⁽²⁾ أُلستكم، وأجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين على ما تَسْمُونُ إليه بهمكم، ولا يضعف نظركم في الحساب فإنه قوام كُتّاب الخراج منكم"⁽³⁾.

هذا، وفي العهد العباسي تطور فن النثر كثيراً بحيث أصبح متعدد الفروع، فهناك النثر العلمي، والنثر الفلسفي والتاريخي، والأدبي الخالص، "وكان في بعض صوره امتداداً للقديم، وكان في بعضها الآخر مبتكراً لا عهد للعرب به، على شاكلة ما هو معروف في كتابات سهل بن هارون والجاحظ. وظلت الخطابة مزدهرة في أوائل هذا العصر، وإن كان قد أسرع الذبول إلى الخطابة الحفلية، إذ لم تعد القبائل تُقدّم بوفودها على الخلفاء كما كان الشأن في عصر بني أمية.

(1) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 114 .

(2) ثقّف: ذا فطنة وفهم.

(3) د. شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص 115 .

أما الخطابة السياسية فظلت فترة نشيطة، بحكم دعوة بني العباس لأنفسهم، حتى إذا استقام لهم الأمر أصابها ما أصاب الخطابة الحفلية من الذبول، ومن خطبائهم المفوهين أبو العباس السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والمأمون⁽¹⁾.

ثم غلبت العَجَمَة⁽²⁾ على خلفائهم، فلم يعودوا يخطبون في أيام الجمع والأعياد إلا ما كان من الخليفة المهدي (255-256هـ. / 868-869م.)، وفي أخبار الرشيد أنه عهدَ إلى الأصمعي أن يحفظ ابنه الأمين خطبة يخطب بها الناس في يوم الجمعة.

أما خطابة الوعاظ فيظهر أنه ظل لها غير قليل من الازدهار، فقد كان خلفاء بني العباس يستنون بخلفاء بني أمية في استقبال كثيرين منهم⁽³⁾.

المناظرات الكلامية:

كما اشتهرت في العصر العباسي المناظرات الكلامية، وحمل لواءها المعتزلة⁽⁴⁾ من أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، ولم يكن همهم

(1) لمزيد من التفصيل عن الخطب يراجع الدينوري (عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت. سنة 276هـ.)، عيون الأخبار، م2، ص251 وما بعدها، دار الكتب المصرية، الهيئة العامة للكتاب، ط1، القاهرة- مصر، بيروت- لبنان، 1348هـ. / 1930م..

(2) العَجَمَة: عدم إتقان العربية الفصحى إتقاناً تاماً لتوسع الاختلاط في الدولة العباسية مع الشعوب الأخرى التي لا تتقن العربية الفصحى إتقاناً تاماً.

(3) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 125 - 126 .

(4) المعتزلة: من الاعتزال، اعتزلوا جماعة أهل السنة، وانفردوا عنهم بآراء مشهورة بالأصول الخمسة. ويُسمَوْنَ بأهل التوحيد لأنهم جرّدوا الله عن صفاته بحجّة توحيد الواجب أنهم اعتقدوا أن تعدد الصفات لله يؤدي إلى تعدد القديم وهو محال. ويُسمَوْنَ بأهل العدل لأنهم أوجبوا على الله أن يُعَذِّبَ العاصي. كما أوجب على نفسه أن يثيبَ المطيع، وهما قسمان:

1- قدرية: ينفون القدر.

2- جبرية: ينفون الاختيار.

أن يردوا على مخالفيتهم من الجهمية أصحاب جَهْم ابن صفوان الذي كان يقول بالجبر، والمرجئة الذين قالوا بأنه لا يجوز تكفير المسلم ولا الحكم على أعماله، حتى لو ارتكب كبيرة. لم يكن همهم أن يردوا على هاتين الفرقتين فقط، بل انصرف همهم إلى الرد على الدهرية والزنادقة.

وقد استطاع هؤلاء أن ينهضوا بالنثر العباسي نهضة كبيرة، (فقد كان المتكلم لا يحسن الكلام والاحتجاج لآرائه إلا إذا أخذ نفسه بثقافة فلسفية واسعة، يقول الجاحظ: "ولا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يُحسن من كلام الدين في وزن الذي يُحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما"⁽¹⁾).

ولم يكونوا يتتقون بالثقافة الفلسفية وحدها، بل كانوا يتتقون أيضاً بكل ضروب الثقافات التي عُرفت لعصرهم، حتى يجمعوا "التدابير العجيبة، والعلوم الغريبة، وآثار القول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، والحكم الرفيعة، والمذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة، والأخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال الثائرة". ويعترف الجاحظ بقيمة ذلك كله فيقول: "ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها، وخلدت من عجيب حكمتها، ودونت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم، لقد خَسَّ⁽²⁾ حظنا من الحكمة، ولضعف سببنا إلى المعرفة. ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى

= وخالفهم أهل السنة فأثبتوا لله ما أثبتته لنفسه من ذات وصفات، ولم يوجبوا عليه شيئاً وجعلوا الإنسان مخيراً والعاصي تحت المشيئة.

(1) الجاحظ (عمرو بن بحر)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، ص143، دار

الجيل، بيروت - لبنان، 1416هـ. / 1996م..

(2) خَسَّ: ضَعُفَ.

تجاربنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة وسقطت الهمة وارتفعت العزيمة، وعاد الرأي عقيماً، والخطر فاسداً، ولكلّ⁽¹⁾ الحدّ وتبدّل العقل⁽²⁾.

والجاحظ المتكلم لا يعبر بهذا الكلام عن وجهة نظره وحده، وإنما يعبر عن وجهة نظر المتكلمين جميعاً لعصره⁽³⁾.

المقامات :

ظهر في العصر العباسي فن المقامات - جمع مقامة - وهي فن أدبي، اخترعه بديع الزمان الهمذاني⁽⁴⁾، ووضع أسسه وترتيبه على النحو الذي يقترب به من القصة، وهذا الفن هو ضرب من الأحاديث الأدبية التي يتخيل فيها صاحبها شخصاً من "المُكذّبين"⁽⁵⁾، ومن المتسولين، يطوف من مكان إلى آخر، يستجدي الناس بفصاحته وبيانه⁽⁶⁾.

(1) كلّ: تعب.

(2) الجاحظ، المرجع السابق، ج1، ص85.

(3) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 127 - 128.

(4) بديع الزمان الهمذاني: (358-398هـ. / 969-1008م.) صاحب "المقامات" هو أحمد بن الحسين بن يحيى، شاعر وكاتب ولغوي، ولد في بلاد فارس، ولكنه عربي الأصل كما ورد في أحد رسائله: "اسمي أحمد، وهمذان المولد، تغلب المورد، ومضر المتحد". اختلف إلى حلقات الدرس حيث تلقى علوم الدين واللغة والأدب، واتصل بالصاحب بن عباد وزير البويهيين، وذهب بعد ذلك إلى جرجان ونيسابور، وكانت هذه البلدة منطلق شهرته الأدبية، ففيها كتب جل مقاماته، وفيها علا نجمه بمناظرة أبي بكر الخوارزمي، أكبر أدباء عصره ومعلميه.

أخذ عنه الحريري أسلوب مقاماته. كان بديع الزمان قوي الحافظة ويُذكر عنه أن أكثر "مقاماته" ارتجال - خير الدين الزركلي، المرجع السابق، م1، ص 115 - ولزيد من التفصيل عن أدبه، انظر بديع الزمان الهمذاني، ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 1407هـ. / 1987م..

(5) المكذّبين: العاملين.

(6) أحمد أبو حاق، إيليا حاوي، جوزيف الياس، أحمد أبو سعد، المفيد في الأدب العربي، ج1، ص 285 - 286، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1999م..

الخط العربي :

إن الخط العربي هو أداة التعبير الكتابي للغة، لذا فقد أخذ المسلمون بالاهتمام به منذ فجر الدعوة، وصار مصاحباً لانتشار اللغة، وبلغ شأواً بعيداً حيث صار يكتب به لغات غير عربية.

وقد عني المسلمون به عناية موضوعية من حيث التوضيح عن طريق ابتكار علامات الإعراب والإعجام، ومن حيث التجويد، وابتكار النسب الجميلة في كتابة الحروف والكلمات وتنسيق الجمل، وساعد على ذلك أن أصبح الخط العربي الوسيلة الأساسية لحفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى ما تشتمل عليه تعاليم الإسلام من تقدير للكتابة واعتبارها أداة للعلم. قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾﴾^(١). وقال جل شأنه: ﴿تَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٣﴾﴾^(٢).

وفي فترة ظهور الدعوة الإسلامية أعطى العرب المسلمون معنى لكل حرف، خاصة عند المتصوفة منهم. فكان للباء مثلاً "حرمتها لأنها أول حرف في القرآن، والجيم كانت كناية عن الصدغ والصاد هي مقلة الإنسانية، والهاء هي الهوية الإلهية عند ابن العربي، والميم كانت تعبيراً عن الضيق، أما الألف فلقد كانت ذات أهمية خاصة عند العرب لأنها مقام (أحد) وهي رمز لوحدة الله المطلقة. وعن سهل التستري الصوفي (ت. 896هـ. / 1490م). قال: إن الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة في الألف إلى الله الذي آلف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء، وللميم أهمية كبرى عند أهل التصوف، وكان هذا الحرف رمزاً للرسول محمد- ﷺ - إذ أن الفرق بين الله الأحد ورسوله الإنسان الكامل هو ميم

(١) سورة العلق، الآيتان 3- 4 .

(٢) سورة القلم، الآية 1 - لمزيد من التفصيل عن أسرار الحروف يمكن مراجعة ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، فصل علم أسرار الحروف، دار الفكر، بيروت- لبنان، ل. ت..

واحدة. ولقد كان لكل حرف صورة تقابله⁽¹⁾، فالألف تقابل القامة الجميلة المنتصبة، ويقول ابن المعتز:

كأن السقاة بين الندامى ألفات على السطور قيام
وصورة الجيم هي الأذن، والدال صورة العاشق الذي صار دالاً من
شدة الحزن، والسين هي الأسنان الجميلة والميم الفم الجميل، وكانت الواو
صورة الزورق والراء صورة الهلال وهكذا⁽²⁾.

هذا بالإضافة إلى أن طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه وما تمتاز به
من الموافقة والمرونة هيأت له الفرص المناسبة للتحسين والتنويع، وليس
أدل على ما تحمله أشكال الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار
من أن الحروف العربية كتبت بأكثر من ثلاثة آلاف هيئة، بل إن بعض
الباحثين عدّ لحرف الهاء وحده نحو تسعمائة شكل مختلف⁽³⁾. وقد قيل في
الخط: "الخط هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحى الفكرة
وملاح المعرفة وناقل الخبر وحافظ الأثر"⁽⁴⁾.

أما أصل الخط العربي فقد أُخذ عن الأنباط⁽⁵⁾. وشمل عدة أنواع،
منها:

- خط الرقعة: الذي يتميز بحروفه القصيرة، وقد جاءت به المدرسة
التركية العثمانية التي عنيت بالخط العربي وجودته. علماً أن هذا الخط لا
علاقة له بخط الرقاع القديم. وقد ابتكر لغرض الكتابة في الدوائر الرسمية

(1) لمزيد من التفصيل عن أسرار الحروف يمكن مراجعة ابن خلدون، المقدمة.

(2) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 67 - 68.

(3) د. حسن الباشا، أصول الحضارة الإسلامية، الدارة، العدد 1، ص 68، ربيع الأول
1395هـ. / مارس 1975م..

(4) فوزي سالم العفيفي، جامع الخط العربي، ج 1، ص 103، دار الكتاب العربي، ط 1، دمشق -
القاهرة، 1416هـ. / 1996م..

(5) فوزي سالم العفيفي، جامع الخط العربي، ج 1، ص 103.

سابقاً، ويستعمل في كتابة اللافتات الكبيرة وعناوين الصحف والإعلانات⁽¹⁾. وتكتب حروفه وكلماته على السطر ولا ينزل عنه من الحروف إلا (ج ح خ ع غ م والهاء الوسطية). وجميع حروفه مطموسة عدا الفاء والقاف الوسطية. واتجاهات الخطوط الأفقية مائلة قليلاً إلى أسفل شمالاً. والحروف الطالعة تكون أسافلها بزاوية قائمة، وهذه ميزة هذا الخط كالخط الكوفي⁽²⁾.

– **الخط الديواني:** جاء به العثمانيون لكتابة البراءات والرتب الرفيعة، وتقليد الأوسمة، وكل ما يصدر عن الديوان السلطاني⁽³⁾.

ويمتاز هذا الخط "بأنه يكتب على سطر واحد ولا ينزل من تحت السطر غير حروف (ج ح خ ع غ م والهاء الوسطية وكاسة اللام، والكاف الممتدة تنزل عن السطر). أما الباء الممتدة النازلة عن السطر غير مستحسنة. ويمتاز هذا الخط بالمرونة الكاملة في كتابة جميع حروفه. ودرجة ميل هذا الخط أكثر من درجة ميل أي نوع آخر مع المرونة الدائرية في كل الحروف"⁽⁴⁾.

– **الخط الديواني الجلي:** هو خط ديواني مشكول، ومعنى الجلي: الواضح، وهو متفرع من أصله الديواني. وسمي أيضاً بالخط المرسوم لأن الرسم يدخل في حروفه. وقد عرف في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري/ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، أيام الصدر الأعظم "شهلا باشا" العثماني. وفي هذا الخط يحتاج الخطاط إلى كثير من التعديل والتزويق لكتابة حروفه المتميزة بالتقويسات⁽⁵⁾.

(1) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 139 .

(2) فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص7 .

(3) لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 147 .

(4) فوزي سالم العفيفي، المرجع نفسه، ج1، ص 46 .

(5) لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 150 وما بعدها.

- **خط الإجازة:** و"يكتب هذا النوع في الإجازات الدراسية والشهادات العلمية ومقدمات بعض الكتب. ويسمى خط التوقيع"⁽¹⁾.

- **الخط الفارسي:** من الخطوط العربية القديمة، جاء به فنانون فارس، ولذلك سمي باسمهم. (ويسمى أيضاً "النستعليق" لاستخراجه من خط النسخ. وكلمة النستعليق هي مزيج من كلمتي "النسخ والتعليق". والتعليق هو خط الفرس الأول الذي اخترعوه، لكنه لم يدم طويلاً لعدم توفر العنصر الجمالي فيه، إضافة إلى كثرة انحدراته. وقد جاء بهذا الخط الخطاط الفارسي "مير علي التبريزي"⁽²⁾. ومن مميزاته أنه لا يُشكّل ولا يُجَمَل لأن أحجام حروفه وكتابتها تشكل الجمال، ويمكن التشكيل في حدود قليلة. ويمتاز هذا الخط أيضاً بميل كتابته إلى اليمين في الألفات واللامات وكاسات بعض حروفه⁽³⁾.

- **خط الشاكسته:** يشمل عدد من الخطوط، من بينها على سبيل المثال لا الحصر، خط شكسته آميز الذي جاء به رجال الخط في فارس، وهو خليط من حروف التعليق وحروف الشكسته. ومعنى "آمير" الشبيه أو المثل. وليس لهذا الخط قواعد خاصة به، وهو من الخطوط الشائعة في إيران. وقد استعمل في بلاد العراق وبعض البلاد الإسلامية الأخرى في فترة العهد العثماني⁽⁴⁾.

- **الطغراء:** أول ما ظهر هذا الخط في تركيا. ويسمى كاتب هذا الخط (طغرائي)، ويعتبر من أصحاب المناصب الرفيعة في البلاط العثماني. وكلمة "طغراء" هي عبارة عن توقيع للسلطان العثماني، "ابتكرها الخطاطون آنذاك للحاجة إليها بدافع من أمرين:

(1) فوزي سالم العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص 186 .

(2) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 142 .

(3) فوزي سالم العقيقي، المرجع نفسه، ج1، ص 194 .

(4) أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 146 .

- الأول: لكي لا تقلد بسهولة.

- الثاني: لكي تعكس جوانب العظمة والفخامة والسلطان⁽¹⁾.

وهذا الخط يمثل لوحة تجريدية حقيقية بانفراجاتها المستقلة المليئة بالأزهار المنتشرة بشكل حلزوني للمئى الفراغ حول الكتابة. وكتابة هذا الخط غامضة وصعبة القراءة إلا على الخبير⁽²⁾. وقد برع في هذا الخط حامد الأمدي الذي كتب ثلاث طغراوات وهي: طغراء السلطان "عبد الحميد الثاني"، وطغراء الملك "فيصل بن عبد العزيز" ملك المملكة العربية السعودية، وطغراء الأمبراطور "رضا شاه بهلوي" شاه إيران⁽³⁾.

- الخط الكوفي: هو خط يابس حاد، ذو زوايا، تتميز حروفه بالاستقامة الرأسية والأفقية⁽⁴⁾. ومن سماته أنه بطيء عند الكتابة، وقد نبغ من الكتاب طائفة، تخصصوا في رسم هذا الخط وتفننوا به، حتى صار خطهم يلفت أنظار الآخرين فاقتدوا بهم. ومن أولئك النابغين خالد بن أبي الهياج، وقطبة المحرر، والضحاك بن عجلان، في أواخر العهد الأموي، وأوائل العهد العباسي، ثم إسحاق بن حماد، والأحول المحرر⁽⁵⁾، وغيرهم. وعلى أيدي هؤلاء المبدعين، بدأ الخط الكوفي يميل إلى الليونة⁽⁶⁾.

- الخط الكوفي⁽⁷⁾ المصحفي: استعمل في رسم المصحف لامتياز

(1) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 157.

(2) أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 157.

(3) لمزيد من التفصيل عن حامد الأمدي انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 206 - 209.

(4) فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج 1، ص 299.

(5) الأحول المحرر: خطاط كبير. كان أستاذ مهندس الخط العربي ابن مقله - أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 216.

(6) د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م 16، ص 36.

(7) الخط الكوفي نسبة إلى الكوفة، وهي أول حاضرة عربية ينسب إليها الخط، وقد اشتهر فيها جماعة من النساخ المجيدين، وأخذت خطوط النساخ تتقارب في أوضاعها ورسومها، حتى نسب هذا النسق من الخط إلى الكوفة - د. فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م 1، ص 36.

بالكثير من المرونة. وتوجد إبداعات جميلة في الكتابة الكوفية تزخر بها التحف والآثار⁽¹⁾.

- **الخط الكوفي الهندسي:** وقد وصفه الأستاذ معروف زريق بقوله: "ويسمى أيضاً (الخط الثلثي الهندسي)، حيث تنضد فيه الكلمات والحروف بتصميم هندسي بديع، يقوم على أسس علم الجمال، كمبادئ التناظر والانسجام والوحدة، وقد تفوق في هذا النوع من الخط، الخطاطون عبد العزيز الرفاعي⁽²⁾ وحامد الآمدي⁽³⁾. ويكتب هذا الخط بأشكال هندسية فنية. ومن هذا الخط، الخط الكوفي الهندسي التربيعي: حيث تكتب كلماته "داخل المثلث أو المربع أو غيره بصورة متشابكة متداخلة يصعب قراءتها. ومن أمثله الكثيرة ما نراه على جدران أروقة مساجد بغداد وكربلاء والنجف وسامراء، وفي مصر بمسجد السلطان قلاوون ومسجد زين الدين يوسف، وترتبة أم السلطان ومسجد البرديني⁽⁴⁾".

- **خط النسخ:** سمي كذلك لأن الكتاب ينسخون به المصاحف والمؤلفات. وهو خط جميل رائق، خال من اليبس وتقل فيه الزوايا الحادة. وقد أرسى قواعده ابن مقلة⁽⁵⁾، وكان يسميه الخط.....

(1) فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص 298 - 299 .

(2) عبد العزيز الرفاعي: تركي المولد (1288هـ./1871م.)، قام بكتابة وتذهيب نسخة من القرآن عندما طلبه ملك مصر فؤاد الأول- أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص228.

(3) د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م 16، ص 36 .

(4) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 127 .

(5) ابن مقلة: (272-328 هـ./885-939م.) هو أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله، وعرف بابن مقلة لأنه كانت له أم، وكان أبوها يلاعبها في صغرها ويقول لها يا مقلة أبيها، فغلب عليها هذا الاسم واشتهرت به، فكان ذلك سبباً لغلبة الاسم عليه فلقب بابن مقلة. وهو من مواليد بغداد، وكان أديباً شاعراً، وخطاطاً ماهراً، وذو اطلاع واسع باللغة، وقدرة فائقة بالنحو والصرف، وإلمام واسع بالهندسة، مما ساعده على تطوير الخط. ومن آثاره رسالة بعنوان "ميزان الخط"، و"رسالة الوزير ابن مقلة في علم الخط والقلم" - لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 72 .

البدیع⁽¹⁾. ويمتاز هذا الخط بميل خفيف عند كتابته، وبوجود التشكيل الذي يبين العلامات الإعرابية، وشكل الحروف مع الاتصالات بينها يظهر سمك القلم ورفيعه وهذا من جمال هذا النوع⁽²⁾ من الخطوط. وقد اشتهر برسم هذا الخط ياقوت المستعصمي وابن البواب والحافظ عثمان ومصطفى الراقم⁽³⁾.

- **خط الثلث:** هو أحد الخطوط العربية القديمة، وسمي أيضاً بخط الثلث: لأنه يكتب بقلم، يرى رأسه بعرض يساوي ثلث قطر القلم، ويسميه بعضهم بالخط العربي، لأنه كان المنهل الأساسي لأنواع كثيرة من الخطوط العربية، جاءت بعد الخط الكوفي⁽⁴⁾. وكان الخطاط لا يعتبر خطاطاً إلا إذا أتقن هذا الخط وذلك لصعوبة قواعده؛ ولذلك يقال له: "أم الخطوط"⁽⁵⁾. وقال عنه د. مجاهد توفيق الجندي: (ومن كُتّاب المصاحف، والذي اشتهر بتجويد الخط وتحسينه قبل أن يكون للخط شأن يذكر هو "الحسن البصري". وقيل: إنه هو الذي قلب القلم الكوفي إلى النسخ والثلث)⁽⁶⁾.

ومن خط الثلث ما يعرف بخط الثلث الجلي⁽⁷⁾، لأن نسبة عرض الحرف إلى مساحته أكبر من نسبة عرض الحرف في الثلث العادي إلى مساحته.

وقد استعمل هذا الخط لكتابة العناوين البارزة، وكتابة اللوحات الفنية الخالدة. وقد تفوق في هذا الخط، الخطاطون: إبراهيم علاء الدين

(1) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 131 .

(2) فوزي سالم العفيفي، المرجع السابق، ج1، ص 103 .

(3) أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 131 .

(4) لمزيد من التفصيل انظر د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م11، ص326-328 .

(5) لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص136 وما بعدها.

(6) د. فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م 16، ص 36 .

(7) أي الواضح، وقد سبق ذكره.

حقى⁽¹⁾، ممدوح الشريف، محمد شفيق، صري سامي، كامل البابا⁽²⁾، أحمد كامل⁽³⁾، حسني البابا⁽⁴⁾، هاشم محمد البغدادي⁽⁵⁾، حامد الآمدي⁽⁶⁾..

ومن خط الثلث أيضاً الثلثي المتأثر بالرسم. وقد تفوق في هذا الميدان حامد الآمدي، عبد العزيز الرفاعي، وليد مهدي⁽⁷⁾.

وهناك أيضاً نوع آخر من الخط هو الثلثي المتناظر، أو المتعاكس، ويسمى أيضاً خط المرأة الثلثي. وسمي بذلك لأن الجانب الأيمن فيه يعكس ما هو موجود في الجانب الأيسر، فكأن بين الجانبين مرآة. وهذا الخط تكتب فيه اللوحة مرتين: إحداها بالشكل الطبيعي، والأخرى بجانبها وبالشكل المقلوب بحيث يناظر الأول⁽⁸⁾.

ومن خط الثلث أيضاً الثلثي المحبوك، مفاده حسن التوزيع والترتيب في البقعة المراد الكتابة عليها بحيث تخرج الكتابة فيها بشكل متوازن.

(1) إبراهيم علاء الدين حقى: (1260 - 1305 هـ. / 1844 - 1887 م.)، خطاط تركي ماهر، أجاد خطي الثلث والنسخ - أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 225.

(2) كامل البابا: خطاط لبناني. من آثاره كتاب "روح الخط العربي"، طبعة دار العلم للملايين، سبقت الإشارة إليه.

(3) أحمد كامل: (1278 - 1360 هـ. / 1861 - 1941 م.). خطاط تركي كبير عرف برئيس الخطاطين. ولد في اسطنبول، ونال وساماً سلطانياً على حبه للخط وإجادته له. كتب على المسجد المعروف بمسجد محمد علي - أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 226.

(4) حسني البابا: خطاط دمشقي الأصل، درس في مدرسة تحسين الخطوط الملكية في القاهرة، وتوفي في مصر - أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 224.

(5) هاشم محمد البغدادي: من مشاهير الخطاطين العراقيين. من آثاره تصميم المسكوكات والعملات الوطنية في بلده وبعض البلاد العربية، وله عدد من الزخارف وخطوط للآيات القرآنية في واجهات ومحاريب أكبر وأضخم مساجد العراق. ومن آثاره الخطية كراسة "قواعد الخط العربي" - لمزيد من التفصيل انظر أحمد عبد الله سرحان، المرجع نفسه، ص 212 - 214.

(6) د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م 11، ص 325.

(7) د. فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م 11، ص 334.

(8) د. فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م 11، ص 335.

وهناك الثلثي الهندسي - أي: الزخرفي، وخط الثلثين اخترعه في العصر العباسي الخطاط إبراهيم الشجري، وكان ذلك في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وقد أخذ صاحب هذا الخط معاملة من خط كان يوجد قبله واسمه "الخط الجليل".

وقد سمي بخط الثلثين، لأنه يكتب بقلم يرى رأسه، بمسافة تعادل ثلثي قطر القلم، الذي يكتب به⁽¹⁾.

هذا، وقد تعددت أنواع الخطوط حتى قال الخليفة المأمون كلمته المشهورة فيه: "لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها، لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط لشرفه، يقرأ في كل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد في كل زمان"⁽²⁾. مما يدل على أهميته وسعة انتشاره بين الأقطار.

ولم تقتصر أنواع الخط على بلاد المشرق فحسب بل امتد الأمر إلى بلاد المغرب الإسلامي، ليشمل أنواعاً كثيرة. ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الخط المغربي:** المشتق من الخط الكوفي القديم، وقد كان يسمى (بخط القيروان)⁽³⁾، وكانت حروفه مستطيلة مزواة .

- **الخط الأندلسي أو القرطبي:** نسبة إلى قرطبة - من أعمال الأندلس -، وكان مقوس الأشكال.

وفي شمال أفريقية هناك عدة خطوط منها:

- **الخط التونسي:** ويشابه الخط المشرقي.

- **الخط الجزائري:** وهو ذو زوايا.

(1) د. فاطمة محجوب، المرجع السابق، م 11، ص 337 .

(2) أحمد عبد الله سرحان، المرجع السابق، ص 65 - وانظر فاطمة محجوب، المرجع نفسه، م 16،

ص 36 .

(3) القيروان: أسست في المغرب سنة (50 هـ / 670 م).

- الخط الفاسي: نسبة إلى مدينة فاس، ويمتاز هذا الخط باستدارات في حرف النون، والياء الأخيرة، والواوات، واللامات، والصاد والجيم وما شابه⁽¹⁾.

هندسة الحروف:

تدخل هندسة الحروف في علم الخط، إذ يذكر ابن مقلة في رسالته عن شكل الحروف مثل حرف الراء: "إنه خط مقوس، هو ربع محيط الدائرة التي قطرها الألف وحرف النون، شكل مركب من خط مقوس هو نصف الدائرة، وقال: واعتبار صحتها أن يُوصلَ بها إلى مثلها، فتكون دائرة"⁽²⁾.

وكان اليونان قد عملوا الهندسة في حروفهم على طريقة بنائها في الدوائر، ولما كانت الثقافة اليونانية منتشرة في العراق والشام والإسكندرية كان من الطبيعي عندما آلت هذه البلاد إلى المسلمين أنهم اقتبسوا هذه العلوم وهضموها بما يتلاءم مع أذواقهم.

ومن الأدلة على استعمال المسلمين لاستعمال الهندسة في الحروف، المحاوراة الآتية التي سجلها التوحيدي في كتابه: (مثالب الوزيرين): "إن صديقاً لابن ثوابة الكاتب⁽³⁾ ابن عباس يكنى أبا عبيدة، قال له ذات يوم: إنك رجلٌ - بحمد الله ومِنَّة - ذو أدب، وفصاحة، وبراعة، وبلاغة، فلو

(1) علي روائي، المرجع السابق، ص 23.

(2) محمد بن سعيد شريقي، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي، دراسة فنية في تاريخ الخط العربي، ص 126، دار ابن كثير، دمشق - سورية/ بيروت - لبنان، دار القادري، دمشق - سورية/ بيروت - لبنان، ط 1، 1419هـ. / 1988م. - نقلاً عن ابن مقلة، ص 120 و 135.

(3) هو أحمد بن ثوابة الكاتب، كاتب ديوان الرسائل لمعز الدولة (ت. 349هـ. / 960م.)، - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، سلسلة الموسوعات العربية، ص 144، راجعته وزارة المعارف العمومية، دار المأمون، مكتبة عيسى باي الحلي وشركاه، القاهرة - مصر، ل.ت..

أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي، وعلم الأمثال الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت كتاب إقليدس وتدبرته. فقال له ابن ثوابة: وما إقليدس؟ قال له: رجل من علماء الروم يُسمى بهذا الاسم، وضع كتاباً فيه أمثال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبية، يشحذ الذهن، ويدقق الفهم، ويلطف المعرفة، ويصفي الحاسة، ويثبت الرؤية، ومنه أنتج الخط، وعرفت مقادير المعجم⁽¹⁾.

وبعد أن عمل المسلمون في هذا العلم وهضموه بما يتلاءم مع أذواقهم الجمالية أضحي علم "الخط العربي في مظهره بعيداً عن الهندسة البحتة، وإن بدت في الحروف اللاتينية، كما ليس له أدنى اشتباه أو صلات بهذه الحروف، لأن الفنان المسلم أخذ من الهندسة هيكلها، ونسبها الجمالية، ثم كساها بالترطيب المناسب للذوق العربي، ومثاليته في بناء حروفه هي: الوضوح، الاختزال، والجمال⁽²⁾.

ولا يذهب بنا الفهم بارتكاز الكتابة العربية على قواعد استعملها الإغريق اقتباساً من كتاب إقليدس أنه تبعية للأجانب، فإن الحضارات تأخذ بعضها من بعض، والتراث الغربي سبق وأن أخذ عن الشرق: الدين، وعلوم الفلك، وعلوم البحار، وغيرها، بل الحروف ذاتها أخذها الغرب من الكنعانيين وهم الفينيقيون⁽³⁾.

بعد هذه العناية التي أولاها المسلمون للخط العربي أصبح هذا الخط يحتل مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية، وصار يمثل أحد العناصر الزخرفية الأساسية في جميع العصور والأقطار، وظهرت بصماته على التراث الإسلامي، وأصبح برفقة اللغة العربية وسيلة للتعبير عن الحضارة الإسلامية.

(1) محمد بن سعيد شريقي، المرجع السابق، ص 127.

(2) محمد بن سعيد شريقي، المرجع نفسه، ص 128.

(3) محمد بن سعيد شريقي، المرجع نفسه، ص 128.

الفصل الثاني

العلم والتراث الجامعات والمكتبات

الدعوة إلى طلب العلم:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وجعله خليفة في الأرض ليعمرها ويذكر الله فيها. وأول دعوة قرآنية كانت الحث على طلب العلم وقد خطها القرآن الكريم بأحرف من نور، ألا وهي قوله جل وعلا:

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾^(١).

ومن التوجيهات القرآنية في طلب العلم، قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(٣)... فالله تبارك وتعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا العلم. فقال جل من قائل: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤)، كما قال جل جلاله: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾^(٥).

وقال جل ثناؤه: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٦)، فقال سبحانه: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ ولم يقل "لتكونوا جميعكم" ولو قال ذلك لما استقامت أمور الناس لإعمار الكون، فهذا الإعمار يجب أن يكون متنوعاً لتستقيم أمور الناس، ولذلك كان هناك فرض العين وفرض الكفاية ففي حين كان فرض العين على كل مسلم ومسلمة وهو ما طلب الشرع فعله طلباً جازماً بدليل قطعي لا شبهة فيه، كأركان الإسلام الواردة في القرآن

(١) سورة العلق، الآية ١ - ٥.

(٢) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٣) سورة طه، الآية ١١٤.

(٤) سورة الزمر، الآية ٩.

(٥) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

الكريم⁽¹⁾، وطلب العلم لقول النبي الكريم ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"⁽²⁾، بينما فرض الكفاية كالجهد مثلاً يُفرض على جميع من هو أهل للجهد، لكن إذا قام به البعض سقط عن الباقي⁽³⁾، كذلك الاهتمام بكافة شؤون المجتمع من طبابة وصناعة وتجارة وزراعة... إلخ.، أما إذا لم يقيم أحد بفرض الكفاية في أي مجال من المجالات فإن المجتمع الإسلامي بأكمله يأثم.

وفي الحث على طلب العلم وفضل العلماء قال ﷺ: "العلماء هم ورثة الأنبياء"⁽⁴⁾.

وقال ﷺ في حديث حول العلم النافع: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"⁽⁵⁾.

وقال نبينا الكريم ﷺ: "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"⁽⁶⁾.

وفي حديث آخر: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"⁽⁷⁾.

(1) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج1، ص 51، دار الفكر، ط3، دمشق- سوريا، 1409 هـ. / 1989 م..

(2) الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت. 360 هـ.)، المعجم الأوسط، ج3، ص 57، تحقيق طارق ابن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة- مصر، 1415 هـ..

(3) د. وهبة الزحيلي، المرجع نفسه، ج6، ص 416.

(4) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص 37، دار ابن كثير، ط3، بيروت- لبنان، 1407 هـ. / 1987 م..

(5) رواه مسلم، تفسير ابن كثير، (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت. 774 هـ.)، ج1، ص 184، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1401 هـ..

(6) الترمذي، المرجع السابق، ج5، ص 51.

(7) الترمذي، المرجع نفسه، ج5، ص 50.

وقال ﷺ أيضاً: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة" (1).

وقال ﷺ: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" (2).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة" (3).

والمقصود هنا العلم الديني، لكن أكثر العلوم خاصة النافعة منها اعتبرت في رأي ابن خلدون ضمن العلوم المطلوبة، كالعلوم اللغوية مثلاً أو كما يسميها علوم اللسان العربي من لغة ونحو وبيان وأدب، فقد اعتبر معرفتها ضرورية على أهل الشريعة (4).

ثم اتسع مدلول العلم فيما بعد ليشمل كل العلوم النافعة والمفيدة للأمة الإسلامية والتي ترعى شؤون دينهم ودنياهم.

وقد بدأت بدايات تأثير الحث على التعليم تظهر في مسلمي العهد النبوي، حيث بدأ النشاط الثقافي في المدينة المنورة منذ أن اتصل أهل المدينة برسول الله ﷺ في مكة وأسلموا... ويظهر ذلك حينما ذهب أحد الأنصار إلى مكة وتعلم القرآن من رسول الله ﷺ ثم رجع إلى المدينة ليقوم بالتدريس، وهناك على سبيل المثال رافع بن مالك الأنصاري، الذي أعطاه رسول الله ﷺ ما أنزل إليه من القرآن في السنوات العشر التي

(1) القرطبي، المرجع السابق ج 1، ص 8.

(2) الترمذي، المرجع نفسه، ج 5، ص 29.

(3) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت. 656هـ)، المرجع السابق، ج 1، ص 52- وانظر

الغزالي، المرجع السابق، ج 1، ص 11.

(4) ابن خلدون، المرجع السابق، ص 545.

خلت، فقدم به رافع إلى المدينة ثم جمع قومه، وقرأ عليهم القرآن، وكان أول مَنْ قدم المدينة بسورة يوسف⁽¹⁾.

وكتب الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو في مكة: "ابعث إلينا رجلاً يفقهنا في الدين، ويقرئنا القرآن" فبعث إليهم مصعب بن عمير، فكان يقرئهم القرآن ويُعلّمهم⁽²⁾.

النشاط الثقافي:

بدأ النشاط الثقافي في مسجد رسول الله ﷺ الذي كانت مهمته الرئيسة العبادة وتعليم الناس أمور دينهم، وكان جزء من المسجد النبوي قد خُصص لأهل الصُفَّة⁽³⁾ الفقراء الذين كانوا يعيشون بجوار المسجد، وكان أهل الصُفَّة يتلقون التعليم من بعض الصحابة، لما روى عبادة بن الصامت عن نفسه قائلاً: "علّمتُ أناساً من أهل الصُفَّة الكتابة والقرآن، فأهدى إليّ رجل منهم قوساً"⁽⁴⁾.

وقام بعض الصحابة بتعليم الكتابة والقرآن في المدينة لما "ورد أن رسول الله ﷺ أمر عبد الله بن سعيد بن العاص أن يُعلّم الكتابة بالمدينة وكان كاتباً محسناً، وقتل يوم بدر شهيداً"، وهو الحكم بن سعيد، وسماه رسول الله ﷺ "عبد الله"⁽⁵⁾.

(1) الكتاني (عبد الحي بن شمس الكتاني)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج1، ص 44، الناشر حسن جعنا، يطلب من محمد أمين دمع، بيروت- لبنان، ل. ت..

(2) محمد محمد حسن شراب، في أصول تاريخ العرب الإسلامي، ص 157، دار القلم، دمشق- سورية، دار الشامية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ. / 1993م..

(3) الصُفَّة: مكان مرتفع نسبياً بجوار المسجد النبوي، ومكانه الآن ضمن المسجد ويمكن قريب من الحجرة الشريفة.

(4) النيسابوري (محمد بن عبد الله ت. 405هـ.)، المستدرك على الصحيحين، ج2، ص 48، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 1411هـ. / 1990م..

(5) ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت. 463هـ.)، الاستيعاب، ج3، ص 920، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجليل، ط1، بيروت- لبنان، 1412هـ..

وَوُجِدَ مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ مَنْ يُعَلِّمُ الْكِتَابَةَ لَمَّا جَاءَ فِي تَرْجُمَةِ الشَّفَاءِ
أُمُّ سَلِيمَانَ بِنْتُ أَبِي حَتَمَةَ، مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: "عَلِّمِي حَفْصَةَ رَقِيَّةَ
النَّمْلَةَ كَمَا عَلَّمْتَهَا الْكِتَابَةَ"⁽¹⁾.

وَفِي مَجَالِ التَّعْلِيمِ لَمْ يَتْرَكِ الْمُسْلِمُونَ فُرْصَةَ تَفَوُّقِهِمْ فِي ظِلِّ الْهَدْيِ
النَّبَوِيِّ، فَكَانَتْ الْإِسْتِفَادَةُ مِنْ أَسَارَى بَدْرِ الَّذِينَ عَجَزُوا عَنْ دَفْعِ الْفِدَاءِ،
فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، فَيُقْبَلُ مِنْهُ الْفِدَاءُ مُقَابِلَ تَعْلِيمِ عَشْرَةٍ مِنَ
الْغُلَامَانِ الْكِتَابَةَ وَيُخْلَى سَبِيلُهُ، فَيَوْمِئِذٍ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي جَمَاعَةِ
مِنْ غُلَامَانِ الْأَنْصَارِ.

أَمَّا الْقَبَائِلُ وَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ كَانُوا يَفْدُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ
كَانُوا يُوزَعُونَ عَلَى دَوْرِ الْأَنْصَارِ لِيَقُومُوا بِضِيَافَتِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ. وَقَدْ وَرَدَ
فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ أَنَّ "سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفَدَّ عَبْدَ الْقَيْسِ: كَيْفَ رَأَيْتُمْ
كِرَامَةَ إِخْوَانِكُمْ لَكُمْ وَضِيَافَتَكُمْ إِيَّاهُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ إِخْوَانٍ، أَلَانَا فِرَاشَنَا،
وَأَطَابُوا مَطْعَمَنَا، وَبَاتُوا وَأَصْبَحُوا يَعْلَمُونَنَا كِتَابَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسَنَةَ
نَبِينَا ﷺ فَأَعْجَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَفَرَحَ بِهَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَجُلًا رَجُلًا يُعْرَضُنَا عَلَى
مَنْ يَعْلَمُنَا وَعَلَّمَنَا فَمِنَّا مَنْ عَلَّمَ التَّحِيَّاتِ وَأَمَّ الْكِتَابَ وَالسُّورَةَ وَالسُّورَتَيْنِ
وَالسَّنَنَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ أَزْوَادِكُمْ فَفَرَحَ الْقَوْمُ
بِذَلِكَ وَابْتَدَرُوا رَوَاحِلَهُمْ فَأَقْبَلَ كَلِيبُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَعَهُ صِرَّةٌ مِنْ تَمْرٍ
فَوَضَعَهَا عَلَى قَطْعٍ بَيْنَ يَدَيْهِ..."⁽²⁾.

وَفِي ظِلِّ الصَّحْبَةِ النَّبَوِيَّةِ وَتَتَابَعَ نَزُولُ الْوَحْيِ عَلَى قَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ
كَثُرَ عَدَدُ الْقُرَاءِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَبِيرٌ كَانَ يَرْسِلُهُمُ الرَّسُولُ

(1) ابن عبد البر، المرجع السابق، ج4، ص 1869.

(2) المهيتمي (علي بن أبي بكرت. 807هـ.)، مجمع الزوائد، ج 8، ص 178، دار الريان للتراث/
دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، بيروت- لبنان، 1407هـ. - وانظر محمد محمد حسن
شراب، المرجع السابق، ص 158 - 159.

الكریم ﷺ ليعلموا الناس، ومن ذلك ما ذكره أنس بن مالك ؓ حينما قال: "جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمون القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم القراء، كانوا يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء، فبعثهم النبي ﷺ" (1).

وفي السنة الثالثة من الهجرة قدم إلى رسول الله ﷺ، بعد أحد، رهط من عُضَلٍ والقارة (2)، فقالوا: "يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهونا في الدين وقرؤونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة نفر... (3)". وأرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، وأرسل عمرو بن حزم إلى نجران ليفقه أهلها، وكتب له كتاباً في الفرائض والسنن والصدقات والديات.

وبانتشار الكتابة والتعليم بالمدينة المنورة كثر عدد الكُتّاب فيها، ويدل على ذلك نزول آية الدين (4) التي أرشدت المسلمين إلى كتابة معاملاتهم التجارية... ونزول هذا الحكم دليل على أن المجتمع بلغ درجة من معرفة القراءة والكتابة يسهل معها العمل بهذا الأمر. ومما يدل على انتشار الكتابة والقراءة في مجتمع المدينة أيضاً وجود عدد كبير من الكُتّاب المختصين برسول الله ﷺ أوصلهم بعض المؤرخين إلى حوالي خمسين

(1) الزهري (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ت. 230هـ)، الطبقات الكبرى، ج3، ص514، دار صادر، بيروت- لبنان، ل. ت..

(2) من أسماء القبائل.

(3) الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت. 360هـ)، المعجم الكبير، ج20، ص327، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، الموصل- العراق، 1404هـ./ 1983م..

(4) سورة البقرة، الآية 282 وهي أطول آية في كتاب الله.

كاتباً... موزعين على اختصاصات متنوعة ⁽¹⁾ ، مما يعني أن هناك عشرات غيرهم في المجتمع.

ومما ساعد على نشر التعليم أيضاً أن التلاميذ قد أتقنوا العلوم زمن النبوة، وغدّوا معلّمين حتى إنهم بلغوا منزلة المشيخة، فصار منهم من تصدر للإفتاء كعدد من أصحاب رسول الله ﷺ أيام نزول الوحي على قلب المصطفى ﷺ ⁽²⁾.

العلوم التي كان المسلمون يتداولونها في العصر النبوي:

بلغت العلوم زمن النبوة عدداً لا يستهان به فكانت تشمل :

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - الحديث النبوي.
- 3 - التفسير: كان يقتصر على ما سأل عنه الناس رسول الله ﷺ أو ما فسرّه رسول الله ﷺ.
- 4 - الأنساب: أمر النبي ﷺ حسّاناً ، أن يذهب إلى أبي بكر الصديق ؓ ليعرف منه أنساب قريش ويدله على عورائهم ليهجوهم، وفي صحيح البخاري أبواب عن أنساب العرب.
- 5 - شعر الانتصارات الإسلامية.
- 6 - أخبار الغزوات النبوية.
- 7 - الأحكام الفقهية ⁽³⁾.
- 8 - الطب.
- 9 - الحرث والزراعة (حديث تأبير - تطعيم - النخل).

(1) الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص 116.

(2) محمد محمد حسن شراب، المرجع السابق، ص 159 - 160.

(3) محمد محمد حسن شراب، المرجع نفسه، ص 162.

10 - تاريخ الأمم الماضية مما جاء في القرآن الكريم، وقصص الأنبياء التي قصها رسول الله ﷺ.

11 - علم الأحياء: جاء من معرفتهم بالخيول والإبل، ومعرفتهم بالصيد وأحكام الذبح، ومراحل تكوين الجنين.

12 - علم الوراثة: قصة الرجل الذي جاءه ولد أسود، وإشارة الرسول ﷺ إلى الجمل الأورق من ناقة بيضاء وحديث: "وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دسّاس"⁽¹⁾.

13 - علم التربية: أتى من التوجيهات النبوية في اختيار اسم المولود، وتكنيته والأذان له عند ولادته... وأمرُ الأولاد بالصلاة لسبع، وضربهم عليها لعشر... وتعليم الشباب الرماية، وركوب الخيل، ورواية الشعر وحضورهم مجالس العلم.

14 - الجغرافية: تتمثل في معرفتهم الطرق، وطبيعة الأرض التي يقصدونها، وأماكن المياه، وأسماء الجبال، وسكان المواقع التي يعمرون بها، وكان هناك مختصون بعلم الجغرافية يسمى الواحد منهم (الدليل).

15 - علم الفلك: يتمثل في معرفتهم الكسوف والخسوف، والاهتداء بالنجوم في السفر.

16 - علم النفس: وهو يمتزج بعلم التربية ويتمثل في مراعاتهم مراحل نمو الإنسان، وحاجاته من الرعاية، وطرق المعاملة، ورأفة الرسول ﷺ بالأطفال، والتدرج في تربية الطفل حسب سنه، واهتمام الرسول ﷺ بطريقة عشرة النساء، والنهي عن ضربهن إلا في حالات نادرة... إلخ.⁽²⁾

⁽¹⁾ محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي (ت. 454)، مسند الشهاب، ج 1، ص 370، تحقيق حمدي ابن عبد الحميد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1407 هـ / 1986 م..

⁽²⁾ محمد محمد حسن شراب، المرجع السابق، ص 163 .

17 - علم الكتابة والخط.

18 - علم اللغة الأجنبية لقوله ﷺ ما معناه: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم" وفي رواية "أمن شرهم".

19 - علوم الحرب والسياسة المحلية والدولية.

فكل هذه العلوم كان يعرفها المسلمون في صدر الإسلام وبعضها كان موجوداً عند العرب في الجاهلية، ولكل علم شواهد من القرآن والحديث والحياة الاجتماعية والعملية.

وبالإضافة إلى هذه العلوم هناك الصناعات التي تكلم عنها القرآن الكريم، وتعلّمها أيضاً يدخل في باب العلوم، كصناعة الحديد لقوله جل وعلا: ﴿وَأَلْنَا لَهُ أَهْدِيَةَ الْحَدِيدِ﴾⁽¹⁾، والصناعات الحربية لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدَرْنَا فِي السَّيْرِ﴾⁽²⁾، حينما تكلم عن صناعة الدروع، وصناعة الفلك - السفن - لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾⁽³⁾، كما أشار القرآن إلى عدة قطاعات كقطاع البناء وحتى الغوص في البحار لقوله تعالى: ﴿كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾⁽⁴⁾، حتى أنه أشار سبحانه وتعالى إلى بعض الحرف النسائية التي منها: الغزل، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَأَلَيْتِي نَقَضْتُ غَزْلَهَا﴾⁽⁵⁾، وحتى الحياطة ذكر آلتها وهي الإبرة، فقال جل ذكره: ﴿حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمَرِ الْحِنَاطِ﴾⁽⁶⁾.

وهذا الدفع العلمي الموجه من قبل الباري تعالى حثّ المسلمين على البحث والتقصي في كافة المجالات من أجل إعمار الأرض وهي غاية

(1) سورة سبأ، الآية 10.

(2) سورة سبأ، الآية 11.

(3) سورة هود، الآية 37.

(4) سورة ص، الآية 37.

(5) سورة النحل، الآية 92.

(6) سورة الأعراف، الآية 40.

وجود الإنسان بعد عبادة الله القائل جل ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾ ولقوله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁽²⁾، أي خلقكم فيها لتعمروها.

أماكن العلم:

إن أماكن العلم والمعرفة انطلقت بانطلاق الإسلام وحلت حيثما حل، ابتداءً من أوائل التنزيل وحتى استقرار الفتوحات واستقرار رواسي الحكم فيها.

فكانت الانطلاقة بوجه عام من المساجد كما كان الأمر من مسجد رسول الله ﷺ، ثم أُضيفت إليها الكتاتيب والمدارس التي كانت منائر لرواد العلم لتتركز بعد ذلك، إضافة إلى المساجد والمدارس، في المكتبات العامة والجامعات خاصة في العواصم والحوضر⁽³⁾.

وكانت المساجد الكبرى تُعدُّ أمَّات الأماكن في نشر العلم والتعليم كـ (الجامع الأزهر) و(جامع الزيتونة) و(الجامع الأموي) و(الجامع الأقصى) التي خُطَّت في كل منها كتبٌ تتكلم عن مآثر هذه الأماكن وتاريخها العلمي.

ولن يتسع المقام هنا للكلام عن كل أماكن العلم إلا أننا سنأخذ نماذج عن بعضها: إن أول مدرسة اختطت بالشمال الأفريقي كانت في القيروان، وقد ابتدأت الحياة الفكرية فيها بالعلوم الدينية وعلى قمته تعليم القرآن والحديث ثم الفقه والتفسير، وقد أقامها صحابة رسول الله ﷺ

(1) سورة الذاريات، الآية 56 .

(2) سورة هود، الآية 61.

(3) الحواضر: جمع حاضرة وهي المدينة.

وتابعيهم. وقد ذكر مؤرخو الطبقات أن أفريقية دخلها تسعة وعشرون أو ثلاثون صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ خلال فترة فتحهم لأفريقية، وكان منهم من شهد العقبة ومنهم من شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، ومنهم من شهد بيعة الرضوان وصلى إلى القبلتين. وقد مكث بعضهم في أفريقية فيما عاد البعض الآخر بعد انتهاء الغزوة التي قَدِمَ فيها، كما يذكرون أن عقبة بن نافع كان معه عندما عاد للمرة الثانية خمسة وعشرون صحابياً، وأنه جمع وجوه أصحابه وكبراء العسكر فدار معهم حول القيروان وهو يدعو لها ويقول: "اللهم املأها علماً وفقهاً، واعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزاً لدينك وذلاً على من كفر، وأعز بها الإسلام وامنعها من جبابرة الأرض"⁽¹⁾.

بعد القيروان نشأت أماكن لنشر العلم في مساجد انتشرت هنا وهناك كجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وجامع الأزهر بمصر، إلخ. غير أن هذه المساجد لم تظل باستمرار مراكز للتعليم، ففيها ما انتهت الدراسة فيه منذ وقت مبكر، وفيها ما انقطعت منه ردياً من الزمان، لكن جامع القرويين بفاس ظل منارة علمية ولم تنقطع الدراسة فيه حتى في الأعوام التي تمت فيها أعمال الترميم والبناء. وحتى عندما اتخذ المرابطون عاصمتهم مدينة مراكش سنة (462هـ. / 1069م.) ويظهر ذلك عندما "ظل قضاء" العاصمة الجديدة "يبعثون بأبنائهم للتزود من معينها، الأمر الذي لم تتخل عنه أيضاً الأصقاع الجنوبية ومدن الساحل الشمالي. فإذا عرفنا إلى جانب هذا أن جامعة بولونيا (بإيطاليا) أسست سنة (513هـ. / 1119م.)، وجامعة أكسفورد (بإنكلترا) سنة (627هـ. / 1229م.)، وجامعة السوربون (بفرنسا) سنة (657هـ. / 1257م.)، إذا عرفنا كل ذلك

⁽¹⁾ د. محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص 185 - 186، دار المنار، ط1، القاهرة - مصر، 1408هـ. / 1988م..

قدّرنا إذن ما قاله بعض الأساتذة والمستشرقين من أن أقدم كلية في العالم ليست في أوروبا، كما كان يظن، بل في أفريقية⁽¹⁾.

وكان يُدرّس هناك مذهب الإمام مالك الذي وردت طلائعه الأولى مع الأدارسة⁽²⁾، "وتعززت بمناصرة قرطبة ومساندة القيروان، وهكذا اتخذت المادة العلمية - نتيجة لذلك - اتجاهًا مالكيًا وأصبحت أفكار مالك والمؤلفات التي دَوَّنَهَا رفاقه هي التي تحتل زوايا القرويين، واستمر المذهب المالكي في ازدهار متوال طوال أيام المملكة المرابطية⁽³⁾، فكانت العلوم الدينية تحتل المقام الأسمى إلى جانب العلوم الأخرى⁽⁴⁾".

ومن المساجد التي لعبت دوراً مهماً في المجال العلمي بالإضافة إلى الشؤون التعبدية جامع الزيتونة الذي يبدو أنه كان على غرار جامع القيروان يعتبر المركز الرئيس الذي تُلقن فيه العلوم الدينية بشتى أنواعها. ويذهب بعض الباحثين إلى أن الدروس كانت تقام في جامع الزيتونة منذ القرن الأول الهجري/ أوائل القرن الثامن الميلادي مع العالم علي بن زياد التونسي (ت. 83هـ./ 702م.). "وقد تواصل هذا الدور في القرن الثالث - الهجري/ التاسع الميلادي -، كما أشار إلى ذلك القاضي عياض

(1) فاطمة الجامعي الحبابي، جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ص 73، ندوة تكريمية لعميدها عبد الوهاب التازي سعود، أبحاث وأعلام (5)، عمارة - المغرب، ل. ت..

(2) الأدارسة: دولة الأدارسة التي حكمت في المغرب العربي.

(3) المملكة المرابطية: دولة المرابطين.

(4) لم يستطع بعض قضاة المرابطين أن يهضم ميل الأوساط لتعاليم الغزالي، ولذلك لجأوا أول القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى الإيعاز بإحراق كتابه "الإحياء" خوفاً من أن يكون ذيوعه على حساب مذهبهم المفضل ولذلك فقد أمروا بإحراقها، فكانت تشاهد الأحمال من المخطوطات تسمي طعمة للنيران. لكن ذلك الأمر لم يستمر بل عاد اسم الغزالي إلى الظهور فيما بعد - فاطمة الجامعي الحبابي، المرجع السابق، ص 73- 74.

في ترجمة زيد بن بشر. وتَدَعَمَ الدور التربوي لجامع الزيتونة في القرن السادس الهجري/ التاسع الميلادي، إذ كان عليه في تلك الفترة أن يتصدى للمذهب الموحّدي الذي لُقنت علومه في المدارس المنشأة لهذا الغرض. وبرز من جراء هذه المناظرات العديد من العلماء في العصر الحَفْصِي⁽¹⁾ الذين تصدّروا للتعليم بالزيتونة، نذكر منهم الإمام ابن عرفة والغبريني والبرزلي وابن ناجي وغيرهم⁽²⁾.

ومن أماكن العلم المهمة في حياة المسلمين جامع الأزهر الذي وضع حجر أساسه جوهر الصقلي قائد الجيوش الفاطمية في مصر (359هـ./ 970م). واستمر بنائه عامين حيث انتهى بناؤه عام (361هـ./ 22 يونية 972م).

وسُمِّيَ أزهرًا نسبةً إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها والتي كان الفاطميون ينتمون إلى نسبها، وقيل: إن الفاطميين اقتبسوا كلمة (الأزهر) من كلمة (الزهراء) التي كانت تطلق على قصور الأمويين في بلاد الأندلس⁽³⁾. وسمي أيضاً جامع القاهرة ليطمخ عن غيره من المساجد كما كان مثلاً يطلق على جامع عمرو بن العاص المسجد العتيق أو تاج الجوامع أو المسجد الجامع⁽⁴⁾.

وهذا الجامع كان مع جامع ابن طولون من أهم أماكن العلم وتحصيل الثقافة الإسلامية بالإضافة إلى العبادة وكلاهما كان في مصر

(1) دولة بني حفص.

(2) محمد حسين فنطر، فوزي محفوظ، عبد الحميد الأرقش، الحضارة الإسلامية في تونس، ص 128، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، مطبعة الهلال العربية، الرباط - المملكة المغربية، 1417هـ./ 1997م..

(3) د. أحمد محمد عوف، الأزهر في ألف عام، عدد خاص بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر الشريف، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثالثة عشر - الكتاب الثاني، ص 35، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة - مصر، 1402هـ./ 1982م..

(4) د. أحمد محمد عوف، المرجع السابق، ص 33.

القديمة... وعلى هذا اتجه الحكم الفاطمي إلى جامع الأزهر ليرسم سياسة الدولة الفاطمية الجديدة بمعناها الديني والسياسي، وأصبحت الدراسة فيه يغلب عليها الصبغة الدينية واللغوية والمنطق علاوة على دروس في الحساب والهندسة والجبر والفلك، وظلت هذه الدراسة متداولة في أرواقه وصحفه عدة عصور تعاقبت عليه⁽¹⁾.

وكان طالب العلم يكثر فيه للدراسة، فمثلاً في العهد العثماني كان على الطالب الذي يود اللحاق بالأزهر عليه أن يتعلم في قرينه أو في أحد المساجد بعض سور القرآن التي يحفظها عن ظهر قلب علاوة على إجادته للقراءة والكتابة. وفي تلك الفترة "كان (كتاب) القرية على عاتقه مهمة تخريج الغلمان المؤهلين للالتحاق بالأزهر الشريف لينضموا إلى غلمان في أعمارهم، فإذا كان الصبي من الأقاليم كان أبوه أو وليّ أمره يرسله على حمار إلى القاهرة أو في مركب بالنيل حاملاً معه (خُرْجِه)⁽²⁾ وسَبَّته⁽³⁾ وملابسه⁽⁴⁾، فلما يصل إلى كَنَفِ الأزهر يتنسم رائحة من الطهارة، ويعيش في جو كله معبق بروحية تُصْرِفُ الطالب عن ملاهي الدنيا وتجذبه

(1) د. أحمد محمد عوف، المرجع السابق، ص 38.

(2) الخُرْج: الكيس المحيط من القماش.

(3) سَبَّت: وعاء من القش أو المعدن يوضع فيه الزاد عادة.

(4) كان الطالب يعيش عيشة فقر مدقع إذا لم يُمَدَّ أهله بالزاد، وإذا كان كبير السن كان يعطي دروساً خصوصية لمن دونه ويعيش في الرواق (الممرات داخل المسجد) وعلى جراية الخبز، وكان معظم الطلبة لشدة فقرهم ينامون فوق الحصير وعلى الأرض لأنهم كانوا غير قادرين على شراء أسرة لهم فكانوا ينامون متدثرين بملابسهم ويلتحفون بحصرهم حولهم، وإذا كان الطقس حاراً كان الطلاب ينامون في صحن الجامع حيث كانوا يضعون خبزهم ليحفظوه حتى يظل سليماً مدة طويلة، فإذا ما أراد الطالب أن يأكل يبلله بالماء ويأكل معه الخل والخضروات كالجزر والثوم والبصل، وكانت كل ممتلكات الطالب لا تتعدى القليل من الملابس والمتاع والكتب فكان يضع كل هذه في صندوقه أو خرجه - د. أحمد محمد عوف، المرجع نفسه، ص 61-62.

إلى روضة العلم. وعلى هذا كان طلبة الأزهر مثاليين في سلوكهم وروحانيين في معيشتهم" ⁽¹⁾.

ومن أماكن نشر العلم أيضاً والتي اشتهرت في التاريخ الإسلامي المدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك (الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي 408-485هـ. / 1017-1092م.) في سائر الأنحاء مستقلة عن المساجد، بل جعل في كل مدرسة مسجداً خاصاً تؤدي فيه الصلوات. وأهم المدارس التي أقامها :

- 1 - نظامية بغداد.
- 2 - نظامية نيسابور.
- 3 - نظامية مرو.
- 4 - نظامية هراة.
- 5 - نظامية أصفهان.
- 6 - نظامية بلخ.
- 7 - نظامية البصرة.
- 8 - نظامية الموصل.
- 9 - نظامية آمل طبرستان.
- 10 - نظامية جزيرة ابن عمر (في جزيرة فوق الموصل) ⁽²⁾.

واشتهر هذه المدارس النظامية كانت نظامية بغداد حاضرة الخلافة العباسية التي حوت جميع علوم العصر حينذاك، وساعدها في ذلك وجود دار عظيمة لنفائس الكتب كان لها أثر بالغ في نشر العلوم والآداب. وكانت هذه الأماكن التي عملت في شأن العلم والمعرفة أشبه ما تكون بالجامعات الحديثة .

(1) د. أحمد محمد عوف، المرجع نفسه، ص 61.

(2) محمد عبد الرحيم غنيم، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، ص 75-76، دار الطباعة المغربية، تطوان - المملكة المغربية، 1953م..

ومما ساعد على نشر العلم ما كان من انتشار صناعة الورق التي عمّت أرجاء العالم الإسلامي بعد أن تعلمها المسلمون من سمرقند بعد فتحها.

وقد أدى انتشار الورق إلى ظهور الوراقين الذين كانوا يقتنونه وينسخون الكتب ويبيعونها إلى الناس. وكان العلماء يقصدون حوانيتهم فيلتقي بعضهم ببعض، وتقع بينهم بعض المباحث والمذاكرات، بل كان بعض الوراقين أنفسهم من أرباب العلم، كابن النديم مصنف كتاب "الفهرست"، وكان لهم دور بارز في نشر المعرفة⁽¹⁾.

وكانت المخطوطات التي يصنعها الوراقون على شكل كتاب غالية الثمن، لا سيما بالنسبة للطلاب، مما جعل الأساتذة يُملّون على الطلاب المحاضرات التي يلقونها عليهم ليستغنوا بها عن الكتب.

هذا وقد صارت مهنة نسخ الكتب من المهن المهمة التي مارسها عدد من كبار العلماء، مما يَسَّرَ وجود الكتب في الأسواق التي كانت سبباً لفتح المكتبات التي تنافس الحكام والأعيان على إنشائها في القصور والمساجد⁽²⁾، بالإضافة إلى ازدياد الإقبال عليها حتى إنه في عام (278 هـ. / 891م.) أحصى أحد المسافرين عدد دور الكتب العامة في بغداد فوجد أنها تزيد على المائة.

وبدأت كل مدينة تبني لها داراً للكتب العامة لسائر الناس ممن أراد أن ينهل من المعرفة التي تضمها حوايا الكتب المتوافرة في هذه المكتبة أو تلك. ويستطيع أي من الناس استعارة ما يشاء منها، وأن يجلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد، كما ويجتمع فيها المترجمون والمؤلفون، في

(1) بايارد دودج، التربية الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة د. سامي خماس الصقار، مجلة الدارة، السنة 13، العدد 1، ص 140، الرياض - السعودية، شوال 1407 هـ. / يونيو 1987م..

(2) بايارد دودج، المرجع السابق، ص 141.

قاعات خصصت لهم، يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم في الجامعات وغيرها من الدور والأندية الثقافية.

فكانت مكتبة صغيرة، كمكتبة النجف في العراق مثلاً، تحوي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أربعين ألف مجلد، بينما لم تحو أديرة الغرب سوى اثني عشر كتاباً ربطت بالسلاسل خشية ضياعها. ويحتاج تصنيف الكتب الموجودة في مدينة الرّبيّ⁽¹⁾ مثلاً إلى عشرة فهارس كبيرة. وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة، بل إنه كان لكل مستشفى يستقبل زواراً قاعة فسيحة صُفّت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور، لتكون مادة لدراسة الطلاب ومرجعاً للأطباء يقفون منه على آخر ما وصل إليه العلم الحديث. ولقد جمع نصير الدين الطوسي لمرصده في مراغة 400,000 مخطوطة.

وقد اهتم بهذه المكتبات بشكل خاص الخلفاء العباسيون في بغداد، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ما كان من الخليفة العباسي الواثق الذي ترك بعد وفاته 600 صندوق مملأ بالكتب، إذ كان له غلامان ينسخان الكتب ليلاً ونهاراً، إضافة إلى الكتب التي كان يشتريها⁽²⁾.

غير أن هذا الأمر لم يتوقف عليهم بل حذا حذوهم كثير من الأمراء المسلمين في مختلف أنحاء البقاع الإسلامية.

وفي هذا الباب روي أنه لما شفي سلطان بخارى، محمد المنصور، من مرضه العضال على يد ابن سينا، وهو بعد فتى لم يتجاوز الثامنة عشرة، كافأه السلطان على ذلك بأن سمح له أن يختار من مكتبة قصره ما يحتاج إليه من الكتب لدراسته، وكانت كتبها تشغل جزءاً كبيراً من القصر وقد

(1) الرّبيّ: ضاحية طهران عاصمة إيران حالياً.

(2) بايارد دودج، المرجع السابق، ص 141.

رتبت حسب موضوعاتها، ويكتب ابن سينا عن ذلك الحديث فيقول: "وهناك رأيت كتباً لم يسمع أغلب الناس حتى بأسمائها".

ولم يكذب ابن سينا يغادر قصر السلطان حتى اشتعلت النيران فيه فقفزت على هذه الكنوز العلمية؛ وهامس أعداؤه وحساده قائلين: "إنه هو الذي أشعل النار فيها بعدما قرأها ليدعي فيما بعد، أن ما عنده من علم إنما هو من أبحاثه الخاصة".

ولعل من أشهر الذين اهتموا بالكتب العزيز في القاهرة - إبان الحكم الفاطمي - الذي لا يستطيع أحد أن يقارن نفسه به ولا حتى أمير قرطبة، الذي بعث رجاله وسماسته⁽¹⁾ في كل أنحاء الشرق ليجمعوا له الكتب ليزيد روائع مكتبته، ومع كل الجهد الذي بذل بقيت مكتبة العزيز في القاهرة أوسع في هذا الميدان حيث حوت 1,600,000 مجلد، فكانت بذلك أجمل وأكمل دار للكتب. وقد ضمت 6,500 مخطوطة في الرياضيات و18,000 مخطوطة في الفلسفة، ولم يمنع هذا قط ابنه من بعده، حين اعتلى العرش، من أن يبني مكتبة ضخمة فيها ثمان عشرة قاعة للمطالعة إلى جوار المكتبة القديمة.

(1) كان هؤلاء السماسرة يُسمَّونَ الدالين، ومن نوادرهم أن سافر أحدهم من بغداد إلى القاهرة ليشتري من مصر النادر من الكتب، وكان قد سمع بأخبار طبيبها المشهور إبراهيم بن الصوفان الذي كان يوظف عدداً من النساخ ويشرف عليهم حتى صار له كثر من الكتب الطبية وغيرها. وعن طريق وساطة الأصدقاء استطاع هذا الدلال أن يوطد علاقته بالطبيب المذكور بعد عدة لقاءات بين الاثنين، وقدم التاجر للطبيب عرضاً مغرياً لشراء عشرة آلاف مجلد من كتبه، وقرر الطبيب الموافقة على ذلك العرض. ولكن أخبار تلك الصفقة وصلت إلى أذان الوزير الأفضل، وكان الأفضل من عشاق العلم الذين يقدرون قيمته، فثارت فيه نزعة داخلية وحينئذٍ إلى بلده مصر، واستدعى إبراهيم وأقنعه بوجهة نظره في ضرورة المحافظة على تلك الكنوز المكتبية من الكتب لبلده، ودفع الوزير من ماله الخاص المبلغ الذي كان التاجر قد دفعه للطبيب - زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص 391.

المكتبات :

كانت المكتبات منقسمة إلى فئتين رئيسيتين: عامة وخاصة.

فالمكتبات العامة هي التي كان ينشئها الخلفاء والأمراء والعلماء والأغنياء، وكانت تشيّد لها أبنية خاصة، وأحياناً كانت تُلحق بالمساجد والمدارس الكبرى.

أما الأبنية الخاصة، فقد كانت تشتمل على حجرات متعددة تربط بينها أروقة فسيحة، وكانت الكتب توضع على رفوف مثبتة بالجدران تخصص كل غرفة لفرع من فروع العلم، فمثلاً كان لكتب الفقه غرفة، ولكتب الطب غرفة⁽¹⁾... إلخ..

ومن أقدم المكتبات العامة وأولها، كانت دار الكتب في دمشق⁽²⁾، ومن أوائلها أيضاً ما ذكره ابن النديم عما رآه في مدينة "الحديثة" على الفرات، فقد رأى خزانة للكتب بخط الإمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأمانات بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه⁽³⁾.

ومن أشهر المكتبات العامة:

1- مكتبة الخلفاء الفاطميين في القاهرة، حيث كانت مكتبة عجيبة بما حوت من نفائس المصاحف والكتب التي بلغ مجموعها كما يروي كثير من المؤرخين مليوني كتاب وقد أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي وتحوي في أحد خزائنها 18,000 كتاب، وكان الدخول إليها مباحاً لجميع الناس، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من

(1) د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص 163، دار الإرشاد، ط2، بيروت - لبنان، 1388هـ / 1968م..

(2) د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 138 .

(3) د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 140 .

يحضر للتعلم، وكان فيها كل ما يحتاج إليه الناس من الخبر والأقلام والورق والمحابر⁽¹⁾.

وقد نهج الوزراء ورجال الدولة النهج نفسه في إنشاء المكتبات، ومن الأمثلة في هذا الصدد أن الوزير المهلي ترك عند وفاته مجموعة من 17,000 مجلد، واستطاع زميله الشاب ابن عباد أن يجمع في مكتبته 206,000 كتاب، وجمع أحد قضاته 1,050,000 مجلد⁽²⁾.

2- مكتبة بيت الحكمة في بغداد التي أنشأها هارون الرشيد، وبلغت ذروة مجدها في عصر المأمون، وكانت أشبه بجامعة فيها كتب ويجتمع فيها رجال يتفاوضون ويطالعون وينسخون، وكان فيها نساخ ومترجمون يترجمون ما كان يحصل عليه الرشيد والمأمون في فتوحاتهم بأنقرة⁽³⁾ وعمورية⁽⁴⁾ وقبرص⁽⁵⁾.

3- مكتبة مرو التي ذكرها ياقوت الحموي عندما زارها في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وأقام بها ثلاثة أعوام (613- 616هـ. / 1216- 1219م.)، ووصف ما بها من خزائن الكتب التي اضطرت إلى مفارقتها عندما بدأ المغول يصلون إلى مشارف المدينة، فقال عن كتبها: "وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها"⁽⁶⁾.

(1) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص. 165 .

(2) زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 385 - 387 .

(3) أنقرة: العاصمة التركية.

(4) عمورية: من أرض سورية.

(5) قبرص: ثاني أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط مساحة بعد جزيرة صقلية.

(6) د. أيمن فؤاد سيد، مناهج العلماء المسلمين في البحث من خلال المخطوطات، ص 104، مجلة

معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة- مصر، رجب 1420هـ. / نوفمبر 1999م..

4 - مكتبة بخارى التي أنشأها الأمير نوح بن منصور الساماني وذكر ابن سينا بأنه طالع فيها فهرست كتب الأوائل، وطلب ما احتاج إليه، ورأى بها من الكتب ما لم يقع إليه اسمه، وإنه قرأ تلك الكتب وظفر بفوائدها⁽¹⁾.

5- مكتبة الحَكَم الثاني بالأندلس، وكانت غاية في العظمة والاتساع⁽²⁾، حتى قيل إنها بلغت أربعمائة ألف مجلد.

6- مكتبة بني عمار في طرابلس، حيث كان فيها مائة وثمانون ناسخاً ينسخون فيها الكتب، ويتبادلون العمل ليلاً ونهاراً دون انقطاع⁽³⁾. ومن أشهر المكتبات الخاصة التي أنشأها أفراد:

1- مكتبة الفتح بن خاقان (ت. 247هـ. / 861م.) الذي كانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسناً⁽⁴⁾.

2- مكتبة ابن الخشاب (ت. 567هـ. / 1171م.).

3- مكتبة جمال الدين القفطي⁽⁵⁾ (ت. 646هـ. / 1248م.) الضخمة التي قُصدَ بها من الآفاق، وعاونه في جمعها ياقوت الحموي الورَّاق الذي وصفها بأنه لم ير مع اشتغاله بالكتب وجمعه لها وتجارته فيها أشد اهتماماً منه بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد وكان مقيماً بحلب⁽⁶⁾.

(1) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 104 و 107.

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165.

(3) د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 166 - 167.

(4) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 109.

(5) يقول ابن القفطي، إنه شاهد في خزائن الكتب في القاهرة كرة نحاس كتب عليها: "حُمِلت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية" - د. عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 138.

(6) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 109.

- 4- مكتبة ابن حاجب النعمان⁽¹⁾.
- 5- مكتبة محمد بن الحسين - ابن أبي بعرة - بمدينة الحديثة بالعراق⁽²⁾.
- 6- مكتبة بني جرادة العلماء في حلب.
- 7- مكتبة الموفق بن مطران الدمشقي (ت. 587هـ. / 1191م.)⁽³⁾.
- 8- مكتبة أبي المظفر نصر بن محمود بن المقرّف التي ذكرها ابن أبي أصيبعة وقال إن صاحبها "كان يمضي معظم أوقاته بها مشغلاً في الكتب وفي القراءات والنسخ، وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كُتِبَ على ظهره مُلحاً ونوادير مما يتعلق بالعلم الذي صُنِفَ ذلك الكتاب فيه. وأضاف أنه رأى كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكيمة التي كانت لأبي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب"⁽⁴⁾.

المكتبة عزيزة على العالم:

كانت مكتبة العالم الخاصة أعز ما يملكه، وكان فقدانها كارثة تترك في نفسه ألماً شديداً، وفي ذلك يصف ياقوت الحموي أحد المحبين للكتب والمبالغين في تحصيلها وشرائها ثم تبدلت به الأحوال واضطر لبيعها. فقال: "فرايته يخرجهما ويبيعهما وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء والمفجوع بأحبائه الأوداء. فقلت له: هَوْنٌ عليك - أدام الله أيامك -

(1) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 108 - ولزيد من التفصيل انظر ابن الندم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق)، كتاب الفهرست، ص 149، تحقيق رضا، تجديد ابن علي زين الدين العابدين الحائري المازندراني، دار المسيرة، ط3، بيروت - لبنان، 1988م..

(2) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 108 - 109.

(3) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 167.

(4) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 107.

فإن الدهر ذو دُول، وقد يسعف الزمان ويساعد وتُرْجَع دولة العز وتُعاوِد
فَتُسْتَخْلَف⁽¹⁾ ما هو أحسن منها وأجود. فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة
خمسِينَ سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال يتيسر والأجل
يتأخر، وهيهات...⁽²⁾.

ومن طريف المكتبات أن هجم الجند مرة على دار ابن العميد⁽³⁾ بعد
أن انتصروا على غلمانهِ وحراسهِ، فَفَرَّ ابن العميد إلى دار الإمارة فوجد أن
خزائنه جميعها قد نُهبت، حتى إنه لم يجد ما يجلس عليه ولا وجد كوزاً
يشرب فيه الماء، واشتغل قلبه بدفاتره وكتبه ولم يكن شيء أعز عليه منها،
وكانت كثيرة تشمل جميع العلوم وكل نوع من أنواع الحُكْم والأدب،
تحمل على مائة بعير فأكثر، فلما رأى ابن العميد خازن مكتبته سألها
فأجابته: هي بحالها لم تمسها يد، فَسُرِّي عن ابن العميد وقال لخازنه: أشهد
أنك ميمون النقيبة⁽⁴⁾، أما سائر الخزائن فيوجد عنها عَوْض، وهذه
الخزانة - أي مكتبته - هي التي لا عَوْض لها⁽⁵⁾.

وعموماً كان لكل عالم أو مؤلف مكتبة لاستخدامه الشخصي
تفاوت قيمة كتبها تبعاً لأهمية العالم وقيمه العلمية.

المكتبات ونفقاتها:

إن الموارد المالية التي كانت تقوم بنفقات المكتبات، كان منها ما
يأتي من أوقاف تُنشأ من أجلها خاصة، وهذه حال كثير من المكتبات

(1) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 109.

(2) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 109 - 110.

(3) ابن العميد: الوزير الكبير أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب، وزير الملك ركن
الدولة الحسن بن بويه الديلمي (ت. 360هـ.) - الذهبي، المرجع السابق، ج 16، ص 137 -
وانظر ابن خلكان، المرجع السابق، ج 5، ص 103 - 113 - وانظر ابن مسكويه (أحمد بن
محمد ت. 421هـ.)، تجارب الأمم، ج 6، ص 274 - 282، أمبروز، القاهرة - مصر، ل. ت. .

(4) ميمون النقيبة: فطن، حسن التصرف.

(5) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 163.

العامة، ومنها ما كان من عطايا الأمراء والأغنياء والعلماء الذين يؤسسون تلك المكتبات، فقد قالوا إنه كان عطاء محمد بن عبد الملك الزيات⁽¹⁾ للنقّلة والنسّاخ في مكتبته ألفي دينار كل شهر، وكان المأمون يعطي حين ابن إسحق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلاً بمثل⁽²⁾.

وكان في مكتبة الموصّل، التي أنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصليّ وسماها دار العلم، خزانة كتب من جميع العلوم وفقاً على كل طالب علم، ولا يُمنع أحد من دخولها، وإذا جاءها غريب يطلب الأدب وكان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً⁽³⁾، وكانت تُفتح يومياً⁽⁴⁾.

ومن بين من أهتم بالكتب الخليفة المأمون، ومن الأمثلة على ذلك أنه "وقعت حرب بين المسلمين والروم، واستطاع الخليفة المأمون أن يقود جيشه إلى قلب بلاد الروم، فاضطر توفيل⁽⁵⁾ ملك الروم أن يطلب الصلح من المأمون. ففرض المأمون على توفيل غرامة قدرها نصف مليون دينار، كما يقولون. ثم جاء من قال للمأمون إن في بلاد الروم كتباً في العلم والفلسفة مطمورة في السرايب. فانتهاز المأمون الفرصة وعرض على توفيل أو ثيوفيلوس أن يسمح له بأخذ هذه الكتب بدل الغرامة المالية. ففرح توفيل لأنه عدّ بضعة أحمال من الكتب تباع بنصف مليون من الدنانير ربحاً وفيراً، أما المأمون فعَدّ ذلك نعمةً عظيمة. فبينما كان ملك الروم يرى أن كتب العلم والفلسفة لا قيمة لها لأنها مخالفة للدين، كان الخليفة المأمون أيضاً يستبدل هذه الكتب بنصف مليون دينار عملاً

(1) ابن الزيات: الوزير الأديب العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده زياتاً سوقياً، فساد هذا بالأدب وبراعة النظم والنثر ووزر للمعتصم وللوائق - الذهبي، المرجع السابق، ج 11، ص 172 - 173.

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165.

(3) الورق: الفضة من العملة.

(4) د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 164.

(5) توفيل : تلفظ اليوم تيوفيل .

بأمر الدين⁽¹⁾. وفي حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها"⁽²⁾.

المكتبات في الأندلس :

اهتم الأندلسيون بالعلم والعلماء اهتماماً كبيراً، ففي أيام الحكم الثاني المستنصر بالله (ت. 366هـ./ 976م.) مثلاً، كان يوجد في الأندلس سبعون مكتبة عامة عدا المكتبات الخاصة للمشاهير من الرجال والنساء وكثير من عامة الناس، حيث أصبح جمع الكتب هواية ممتعة. كل ذلك إضافة إلى مكتبة قرطبة الرئيسة التي أسسها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأثرها الحكم الثاني المستنصر بالله، وذكرها ابن حزم قائلاً: "إن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط"⁽³⁾.

نكبة المكتبات:

أصيب العلم وخزائنه بعد تقدمه وتطوره بنكبات عديدة قضت على كثير منه نتيجة تعرض البلاد الإسلامية للاهتزازات السياسية والفوضوية الداخلية إضافة إلى الهجمات العسكرية الخارجية، الأمر الذي تسبب بمآس وكوارث عديدة أصابت العالم الإسلامي.

ومن هذه النكبات:

1 - نكبة التتار حين احتلوا بغداد وقذفوا بما وجدوه في دور الكتب العامة في نهر دجلة حتى فاض النهر بالكتب الملقاة فيه، فكان الفارس يعبر

(1) د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 39-40.

(2) الترمذي، المرجع السابق، ج 5، ص 51.

(3) د. عبد الرحمن علي الحجي، الحضارة الإسلامية في الأندلس (أسسها، ميادينها، وتأثيرها على الحضارة الأوروبية)، ص 27-28، دار الإرشاد، بيروت - لبنان، 1969م..

عليها من ضفة إلى ضفة، وظل ماء النهر أسود داكناً أشهراً طويلة من تَغْيُرِهِ بمداد الكتب التي أُغرقت فيه.

2 - نكبة الغزو الصليبي التي أفقدت الأمة الإسلامية أعز المكتبات لديها، والتي كانت في طرابلس الشام، وفي مَعْرَةَ النعمان⁽¹⁾، والقدس وغزة وعسقلان⁽²⁾، وغيرها من المدن التي خربها الصليبيون، ويُقدَّر ما أُلْفِه الصليبيون في مكتبة طرابلس وحدها بزهاء ثلاثة ملايين مجلد.

3 - الكثير من التراث الغالي الذي كانت تحويه المكتبات هناك، والتي تحدّث عنها التاريخ بذهول، حيث احترقت تلك المكتبات كلها بفعل المتدينين المتعصبين من نصارى الإسبان، حتى إنه احترق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما قدَّره بعض المؤرخين بمليون كتاب⁽³⁾.

4 - في غرناطة وحدها بعد سقوطها، أي في حوالي سنة (905هـ.) / (1500م.) ، قام الكاردينال خمينس مطران طليطلة ورأس الكنيسة الإسبانية، بجمع ما أمكن من المخطوطات العربية واحتفل بحرقها؟! واختُلِفَ في تقدير ما أحرق، من خمسة آلاف إلى مليون وخمسة آلاف مجلد. ومن المحتمل أن ما أحرق يبلغ حوالي مئة ألف مؤلف (مخطوط) باللغة العربية⁽⁴⁾.

5 - نكبة الأمة الإسلامية بالفتن الداخلية، فقد كان من نتائج هذه الفتن فقد العديد من المكتبات التي تضم الكثير من ذخائر التراث العلمي

(1) معرة النعمان: من أرض العراق.

(2) عسقلان: من مدن فلسطين المحتلة.

(3) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 168 .

(4) إن المتبقي الآن في مكتبات الشرق والغرب من هذه المخطوطات يعتبر ثروة مهمة تحتاج إلى عناية خاصة، وتعتبر مكتبة قصر الأسكوريال التي تقع على بعد خمسين كيلومتراً شمال غربي مدريد أحد هذه الأماكن التي تحتضن بعضاً من ذلك التراث - د. عبد الرحمن علي الحجري، المرجع السابق، ص 31.

الذي تعب بجمعه العلماء من الأجداد الذين أفنوا أعمارهم في العمل الدؤوب لِيُثِّروا التراث العلمي الذي أفاد منه الكثير من أبناء الإنسانية.

6 - نكبة مكتبة الخلفاء الفاطميين حين اعتدى عليها غوغاء من المماليك الأتراك، فأشعلوا فيها النار، واقتسم العبيد جلود كتبها فاتخذوها نعالاً يلبسونها، وألقي منها عدد كبير في النيل، وحُمِلَ بعضها إلى سائر الأقطار، وبقي منها ما سَفَّتَ عليه الرياح⁽¹⁾، فصار تلالاً يعرف بتلال الكتب.

7 - نكبة مكتبة حلب والتي تسمى "خزانة الصوفية"، وكانت مكتبة عظيمة، فقد نُهبَت ولم يبق فيها إلا القليل في فتنة قامت بين السنة والشيعية في أيام عاشوراء⁽²⁾.

8 - نكبة مكتبة الحاكم المستنصر في الأندلس، التي ذهبت بها أيدي الفتن الداخلية حين دخل البربر قرطبة، فبيع كثير منها ونهب الباقي⁽³⁾.

9 - نكبة مكتبة الأمير ابن فاتك - من أمراء مصر في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ولعل هذه النكبة من أغرب النكبات، حيث كان لديه مكتبة ضخمة كان يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها. وكانت له زوجة كبيرة القدر من أرباب الدولة، ولكنها داخلتها الغيرة من الكتب، فلما توفي زوجها نهضت مع جواريتها إلى خزائن كتبه وفي قلبها لوعة من الكتب، لأنه كان يشغل بها عنها، فجعلت تبكيه وتندبه، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريتها.

(1) سَفَّتَ عليه الرياح: رَمَتْ عليه الرمال.

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 168.

(3) د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 168.

وقديماً كانت زوجة الإمام الزهري⁽¹⁾ تقول له حين تراه غارقاً في الكتب: "والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر!"⁽²⁾.

نفائس المكتبات :

بعد الكوارث التي حلت بالمكتبات التي كانت تحوي نفائس التراث الإسلامي وتراجع الإنتاج العلمي الإنساني، تنبه عدد من النبهاء لقيمة هذا التراث الموزع بين أرجاء الحواضر الإسلامية فعَمَدَ عدد منهم إلى التقاط ما تبقى منه. فكان منهم المُجَمِّع، وكان منهم تاجر الكتب الذي عرف قيمة هذه الذخائر وحافظ عليها، وكانت له بمثابة الكنز للذي يعرف قيمته ويدفع فيه أكثر من غيره.

من هنا تنبّهت بعض المراكز لتجميع هذه المخطوطات في أماكن تكون محط اهتمام الزائرين لها من أهل العلم، وقد انتشرت هذه المراكز في عدد من بلدان العالم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، مركز ليدن الذي نما بعد أن عُيِّنَ "فارنر" سنة (1065هـ./1654م.) ممثلاً لهولندا في القسطنطينية. ولم يكن "فارنر" دبلوماسياً فحسب، وإنما كان عالماً أيضاً، فقام بجمع العديد من المخطوطات النفيسة أثناء تواجده بالقسطنطينية. ثم أورثها مكتبة ليدن الجامعية. وهكذا حصلت الجامعة على العديد من المخطوطات ذات الأهمية الكبرى التي بإضافتها إلى المخطوطات التي اشتراها "خوليوس"⁽³⁾ لحساب الجامعة، أضحت من أهم مجموعات العالم⁽⁴⁾.

(1) النهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ولد سنة خمسين، إمام العلم وحافظ زمانه وكان نزير الشام روى الحديث عن ابن عمر وجابر - لمزيد من التفصيل انظر الذهبي، المرجع السابق، ج5، ص 326-328.

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 169.

(3) من الباحثين المهتمين بالمخطوطات العربية القديمة.

(4) د. نيقولاوس فان دام (التحرير)، د. يان بروخمان، كورنيلس خ. براور، د. ألكسندر هـ. ده خروت، د. بن ي. سلوت، يان يوست فيتكام، هولندا والعالم العربي منذ القرون

كما ضمت مكتبة ليدن مجموعة كتب "سكاليخر"⁽¹⁾ التي كان من بينها ما يقارب خمسين مخطوطة شرق أوسطية، بالإضافة إلى عدد أكبر من الكتب المطبوعة التي لها علاقة بالعربية، وصلت كلها مكتبة ليدن الجامعية، وقد احتوت هذه المجموعة على مواد عربية من بينها المعجم اللاتيني- العربي، والذي عُرف عنه بأنه أَلْفَ في طليطلة في الأندلس في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، كما احتوت مجموعته على جزءين من القرآن الكريم مكتوبين على جلد الغزال ويرجع أصلهما إلى المغرب⁽²⁾.

ولقد جمع "خوليوس" ما يقارب السبعمئة كتاب منسوخة باليد لمؤلفين من العرب والفرس والترك. وقبل أن يباشر أستاذيته كانت إدارة جامعة ليدن قد سمحت له بالسفر ولمدة طويلة إلى كل من حلب والقسطنطينية حيث قام بشراء معظم مخطوطاته. وبما أن شراء الكتب كان يتم من أموال الجامعة فإن ما يقارب ثلث مجموعته كان قد وضعه في مكتبة ليدن خلال حياته، أما الباقي فقد بيع بالمراد العلني بعد وفاته.

وقد انتهى المطاف بالقسم الأكبر من مجموعته إلى مكتبة "بديان" في أكسفورد في إنكلترا، حيث لم يزل بالإمكان دراسة مخطوطاته، ولم يبق في هولندا غير القليل منها الذي وصل أخيراً إلى مكتبة ليدن⁽³⁾.

هذا وفي عام (1301هـ-1883م) فقط "وصلت إلى المكتبة مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية، وذلك دفعة واحدة. فقد اشترت

= الوسطى حتى القرن العشرين العلوم- اللغة- التجارة - الثقافة والفن، ص 13، مقدمة لمعالي وزير الخارجية الهولندي السيد هانس فان دن بروك، تعريب أسعد جابر، (Lochem) لوشم بالتعاون مع وزارة الخارجية في لاهاي، هولندا، 1987م..

(1) أحد علماء الغرب الباحثين والمهتمين بالتراث الشرق أوسطي .

(2) د. نيقولاوس فان دام، المرجع السابق، ص 20 .

(3) د. نيقولاوس فان دام، المرجع نفسه، ص 21 .

الجامعة وبواسطة شركة "بريل" مجموعة مخطوطات العلامة وتاجر الكتب العربي أمين المدني. وبذلك انتهى المطاف في جامعة ليدن بحوالي ستمائة وخمسة وستين مخطوطة من بينها عدد كبير نسبياً بخط يد المؤلف. وفي سنة (1355هـ./1936م.) تسلمت المكتبة ميراث "سنوك هرخرونيه"⁽¹⁾، والذي يضم المئات العديدة من المخطوطات العربية التي مصدر معظمها أندونيسيا. ولهذا أصبحت ليدن مؤسسة تجذب العلماء والزائرين المهتمين بالتراث، لمشاهدة الكنوز العربية"⁽²⁾، التي تحويها.

وهناك متفرقات من المخطوطات في أنحاء عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر المخطوطة التي وجدت في مكتبة شستربتي والتي ذكرها ياقوت الحموي وهو عمرو. وهذه المخطوطة هي نسخة من كتاب "تمام الفصيح" لأحمد بن فارس (ت.395هـ./1004م.) بخطه وقد كتب في آخرها: "وكتب أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بالمحمدية" الهجرية/1000م.، ونقل ياقوت نسخة عنها في سنة (616هـ./1219م.)، وقد صلت إلينا هذه النسخة شاهدة على صحة ما ذكره ياقوت في نسخته، وهي محفوظة في المكتبة المذكورة بدبلن برقم 3999⁽³⁾.

ومنها خزانة الأمير صرغتمش وفي ذلك "ذكر السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت.1205هـ./1790م.) أنه وقف على نسخة من كتاب "العباب الزاخر"، وأخرى من "التكملة على الصحاح"، وكلاهما للصغاني (ت.650هـ./1252م.)، قال: "ظفرتُ بهما في خزانة الأمير صرغتمش". وقد وصلت إلينا هذه النسخة من "التكملة والذيل والصلة

(1) أحد المهتمين باقتناء الكتب القديمة .

(2) د. نيقولاوس فان دام، المرجع السابق، ص 26 .

(3) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 104 .

لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية"، وهي نسخة كتبت سنة (642 هـ./ 1244م). في حياة المصنّف، آلت إلى دار الكتب المصرية من خزانة الأمير صرغتمش في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري /نهاية القرن التاسع عشر - الميلادي-)، وهي محفوظة بها برقم 3 لغة⁽¹⁾.

هذا وهناك لبسٌ حول المخطوطات التي كانت في مكة والمدينة، أين ذهبت وماذا حل بها؟! في وقت كان إنشاء المكتبات في هاتين المدينتين يُعدُّ تقريباً إلى الله وعَمَلٌ خير في هذه البقاع المقدسة ومن الصدقة الجارية، حيث تُعدّل كل صدقة فيهما آلاف أمثالها في البلاد الأخرى، ولذلك كان السلاطين والأمراء والأتقياء يوقفون الكتب فيهما، ويضمنون بأوقاف أخرى الإنفاق على القائمين بأمرها.

ومن المعروف عن هذه المكتبات أن هناك مئات الكتب نقل عنها المؤلفون في القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية/العاشر والحادي عشر والثاني عشر الميلادية ولم تصل إلينا، فأين ذهبت؟ ومن المعلوم أن الاستعمار لم يدخل إلى تلك البقاع المقدسة، ولم يدخلها المغول الذين قضوا على التراث الإسلامي في بغداد، ولم تشهد محاكم التفتيش التي أحرقت كتب التراث الإسلامي في الأندلس... فأين ذهبت هذه الكتب؟ لا بد أن بعض من سكنوا المدينة قد نقلوا هذه المخطوطات إلى أوروبا وباعوها إلى المستشرقين⁽²⁾... وقد يُهَيأ لإحدى المكتبات رجل أمين غيور فيُنمّي عددها، ويسعى إلى حفظ ما فيها... وقد يكون حظ مكتبة أخرى سيئاً إذا تسلمها غير حريص، فتمتد إليها الأيدي السارقة وتبتد مع الأيام، وكم وكم من الكتب التراثية التي نسمع عن أسمائها ولم تصل

(1) د. أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 107 - 108.

(2) لمزيد من التفصيل انظر د. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، ص 448، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان/ دار الفكر، دمشق - سورية، ط1، 1416هـ./ 1995م.

إلينا، أو أنها وصلت إلينا ولكنها قد تكون في أحد المتاحف أو المكتبات
التي استولت على تراثنا في غفلة منا.

وما التراث الإنساني الذي سُرقَ ودمّر في بغداد أثناء اجتياحها في
مطلع القرن الحادي والعشرين منّا ببعيد.

الفصل الثالث

الترجمة والنقل والبحث العلمي

الترجمة والنقل

مع انتشار الإسلام في أرجاء واسعة من الأرض واستقرار الحكم فيها، كان المسلمون يقومون بدراسة تراث من سبقهم من الأمم، ولما كانت كتابات من تقدمهم في لغات أخرى، فقد عمدوا إلى ترجمة تلك العلوم.

وابتدأت حركة الترجمة زمن الأمويين، ولعل من أكبر مشجعيها خالد بن يزيد الذي شَغَفَ بالكيمياء اليونانية⁽¹⁾ وأمر بترجمة بعض نصوصها إلى العربية، ويعتبر هذا أول نقل للعلوم في الإسلام، كما جاء بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أمر بترجمة بعض الكتب، وهذه كانت ترجمة خفيفة نسبياً في العصر الأموي لانشغال المسلمين بالفتوحات.

غير أن الاهتمام بالترجمة أدى إلى إنشاء دار للترجمة في عاصمة الخلافة الأموية دمشق، إضافة إلى إنشاء دار للكتب كانت أول دار تبنى في العالم الإسلامي على الأرجح⁽²⁾.

وكانت حركة الترجمة زمن الأمويين عموماً بمثابة مقدمة للترجمة الفعلية التي ازدهرت زمن العباسيين، وكان ابتداؤها زمن المنصور حيث قام إبراهيم الفزاري بترجمة الفلك الهندي المعروف باسم "السند هند" يعاونه في ذلك بعض علماء من الهنود، كما جلب يحيى بن خالد المكي

⁽¹⁾ لمزيد من التفصيل انظر محمد كرد علي، خطط الشام، ج4، ص 20، مكتبة النوري، ط3، دمشق- سورية، 1403هـ. / 1983م... وانظر عزيزة فوال بابتي، المرجع السابق، ص 137 - 138.

⁽²⁾ محمد كرد علي، المرجع السابق، ج4، ص 21.

مجموعة من الأطباء الهنود وأمرهم بنقل بعض الكتب الهندية، يعاونهم بعض المترجمين لنقل الكتب من السنسكريتية إلى العربية.

ومما ساعد على الاهتمام بالترجمة وجود عدد من المدارس التي حملت الثقافة عموماً قبل الفتح الإسلامي في مدن جُندِ يسابور والرُّها وحرَّان ونصيبين، وكان للسريان الفضل في نقل وترجمة المعلومات إلى العربية بأمر من المنصور، إذ استدعى من جند يسابور أسرة بختيشوع النصرانية المشهورة بالطب، ليتولى بعض أطبائها علاجه، وجذَّت هذه الأسرة كما جدَّ غيرها من السَّريان في ترجمة الفلسفة اليونانية، وبلغت الترجمة أوجها في عهد المأمون⁽¹⁾.

وأشار إلى ذلك د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي حيث قال: "كان المنصور أول من عُني عناية فائقة بنقل الكتب القديمة ولكنه اقتصر منها على العلوم الطبيعية والطب والنجوم والهندسة"⁽²⁾.

وأما الفلسفة والمنطق وسائر العلوم العقلية فترجمت في عهدي الرشيد (171-193هـ. / 787-808م.) والمأمون.

وكان هارون الرشيد يدعو إلى بلاطه المتعلمين متقني مختلف اللغات، وعهد إليهم بترجمة كثير من الكتب العلمية تحت إشراف يحيى بن ماسويه⁽³⁾.

ومن الطريف ذكره أنه وجدت في قصر بناه بالقاطول ليخرج إليه للتنزه خزانة كتب تحتوي أكثر من ألف كتاب⁽⁴⁾.

(1) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 123 - 124 .

(2) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، ص 31، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة - مصر، 1415هـ. - 1995م..

(3) زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 379 .

(4) جميل نخلة المدور، المرجع السابق، ص 162.

هذا وقد بلغت العناية بالترجمة زمن المأمون مبلغاً عظيماً، حيث جعل هذا الخليفة ومن جاء بعده المترجمين يعيدون مراجعة التراجم مرات عدة لضمان سلامتها من الأخطاء.

وقد أنشأ المأمون في بغداد مدرسة للترجمة أطلق عليها اسم "دار الحكمة"⁽¹⁾، وكان "يتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة، حتى يجيدوا النقل عن تلك اللغات، وقد جعل النظر في أمر هذه المدرسة وترتيبها إلى طبيب نسطوري"⁽²⁾، هو يحيى بن ماسويه (ت. 243هـ./ 857 م.)، وكان على علم بالسريانية والعربية، وملماً إماماً واسعاً بالإغريقية⁽³⁾.

هذا، وقد جعل المأمون يوماً في الأسبوع يجتمع فيه المترجمون بعلماء اللغة، ليطلع هؤلاء على عملهم وينظروا ليصححوا ما ورد فيه من أخطاء ويقروه، وقد كان يندل في سبيل الترجمة أموالاً ضخمة كانت تغري العاملين في الترجمة على مواصلة الجهد ليلاً ونهاراً، وتحفز كثيراً على تعلم اللغات والإقبال على مدارسها، حتى تخرج جيل يحيط بتلك الألسن⁽⁴⁾، وخرجت المدارس أعداداً من العرب الذين يتقنون الترجمة والنقل، وتبارى الجميع في إخراج الثقافات المختلفة وهضمها وتقييمها، حتى نقل هذا الحشد من العلماء والمتخصصين والمترجمين إلى العربية بضع مئات من الكتب في الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات. ففي الفلسفة نقل ثمانية كتب لأفلاطون، وتسعة عشر لأرسطاليس، وفي الطب نقل عشر كتب لأبقراط، وأربعة وستون لجالينوس، وغير ذلك كثير في زمن يسير.

(1) يذكر د. مصطفى السباعي في كتابه "من روائع حضارتنا"، ص 165 أن "بيت الحكمة في بغداد، أنشأها هارون الرشيد، وبلغت ذروة مجدها في عصر المأمون".

(2) نسطوري: نسبة إلى فئة من النصارى تدعى النساطرة.

(3) الإغريقية: اليونانية.

(4) يحيط بتلك الألسن: يتقن إتقاناً تاماً تلك اللغات.

وأما الكتب التي ترجمت عن الفارسية في الفترة الأولى من الترجمة، فهي نحو عشرين كتاباً في التاريخ والأدب، ونحو ثلاثين عن اللغة السنسكريتية، وأكثر ما في الرياضيات والطب والنجوم⁽¹⁾.

فهذه المحصلة من التراجم كانت حصيلة ما ترجمه المترجمون مما كان يحصل عليه الرشيد والمأمون في فتوحاتهم، بأنقرة وعمورية وقبرص⁽²⁾.

ومن أشهر المترجمين الذين نقلوا التراث اليوناني إلى العربية، الطبيب قسطنطين بن لوقا، وحنين ابن إسحاق⁽³⁾ الذي كان طبيباً بارعاً، إضافة إلى إتقانه اللغة العربية والفارسية والسريانية واليونانية⁽⁴⁾. وكان المأمون يعطي حنين هذا من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلاً بمثل⁽⁵⁾.

ولم تقتصر هذه النهضة العلمية للترجمة بمجملها على الخلفاء بل تعدتها إلى الوزراء وأصحاب النفوذ، كما شارك فيها الأفراد والعائلات. وممن يذكر في هذا المقام على سبيل المثال: البرامكة ووزراء الرشيد. كما ساهم بعدهم عدد ممن كان لهم شهرة علمية أمثال أولاد شاكر الثلاثة الذين جدوا في طلب العلوم القديمة وبذلوا فيها الرغائب في سبيل نقل هذه العلوم إلى العربية⁽⁶⁾، وخصصوا ريع أملاكهم الضخمة للترجمة وجمع الكتب⁽⁷⁾.

(1) د. توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة "بالحضارة الغربية"، ص 402، دار الوفاء، ط 1، المنصورة - مصر، 1408 هـ. / 1988 م. - وانظر د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 32 - وانظر يوحنا كريستوف بيرغل، الوجه المزدوج للطب في الحضارة الإسلامية (1)، جريدة الحياة، العدد 11364، ص 18، 1994/3/29 م..

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165.

(3) قسطنطين بن لوقا وحنين بن إسحق: نصرانيان.

(4) يوحنا كريستوف بيرغل، المرجع السابق، ص 18 - وانظر زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 389.

(5) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165.

(6) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 403.

(7) زيفريد هونكة، المرجع نفسه، ص 379.

ومن ساهم كذلك في نقل هذه العلوم محمد بن عبد الملك الزيات، وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ ألفي دينار في الشهر⁽¹⁾، ومنهم علي ابن يحيى، ومنهم إبراهيم بن موسى الكاتب، وغيرهم، حتى كانت السمة الثقافية والعلمية في المجتمع الإسلامي هي صاحبة المكانة الرفيعة⁽²⁾.

وامتدت هذه المساهمة عبر القرون لتشمل العديد من المدن الإسلامية، ولتمثل مراكز الإشعاع الحضاري. ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ما كان من مساهمة القاضي جلال الملك بن عمار في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. حيث عمل على تجديد دار العلم ودار الحكمة في طرابلس الشام سنة (472هـ. / 1079م.)، فنشرت العلوم والآداب، وأضحت طرابلس حينها من أهم مراكز الإشعاع الحضاري وجّهزت مكتبتها بمئة ألف مجلد، وكان هذا قبل استيلاء الصليبيين عليها⁽³⁾. وكانت هذه المكتبة قد حوت مائة وثمانين ناسخاً ينسخون فيها الكتب ويتبادلون العمل ليلاً ونهاراً بحيث لا ينقطع النسخ⁽⁴⁾.

ومن الناقلين والمترجمين من المسلمين وغيرهم:

- أسطفان القديم، أيام خالد بن يزيد، نقل إلى العربية كُتُب الصِّفة وغيرها، وكتاب الحشائش لديسقوريدس.

- آل مار سرجويه، أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي، نقلوا العديد من الكتب الطبية إلى العربية.

- آل ثابت الحراني، في العصر العباسي، نقلوا إلى العربية كثيراً من الكتب في الطب والفلسفة.

(1) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 165.

(2) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 403.

(3) محمد كرد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 33.

(4) د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 166.

- أبو زكريا يوحنا بن ماسويه، في عهد الرشيد، ترجم عدداً من الكتب الطبية.
- أبو سهل الفضل بن نوبخت، في عهد الرشيد، كان يعمل في بيت الحكمة.
- الحسن بن نوبخت، في عهد الرشيد، نقل من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي.
- أبو عمر يوحنا بن يوسف، في عهد الرشيد، نقل كتاب أفلاطون في أدب الصبيان.
- أبو نوح بن الصلت، في عهد الرشيد أيضاً، من النقلة في الفلسفة.
- أحمد بن يوسف المصري، في عهد الرشيد أيضاً، ترجم لبطليموس كتاب جغرافيا المعمورة، من نقلة كتب اليونان.
- يعقوب بن إسحاق الكندي في العصر العباسي، كان يراجع ما ترجمه العاملون في الترجمة في بيت الحكمة.
- إبراهيم بن عبد الله بن أبي الحريش، في عهد المأمون، كان في خزانة بيت الحكمة.
- ابن أبي رابطة، في عهد المأمون، من النقلة إلى العربية.
- ابن شهدي الكرخي، في عهد المأمون، نقل من السريانية كتاب الأجنّة لأبقراط.
- أبو بشر متى بن يونس، في عهد المأمون، من النقلة في الطب.
- أبو زكرياء يحيى بن البطريق⁽¹⁾، في عهد المأمون، من النقلة في العلوم.

(1) البطريق: يُكتب هذا الاسم حالياً بالشكل التالي: "البطريك"، وهو رتبة دينية كهنوتية نصرانية.

- أبو زكرياء بن يحيى بن عدي التكريتي، في عهد المأمون، عمل مترجماً في بيت الحكمة، نقل من السريانية إلى العربية.

- إسحاق بن حنين، في عهد المأمون، ترجم كتب الطب والفلسفة.

- أسطاث وجيرون بن رابطة، في عهد المأمون، من النقلة في الطب.

- الحجاج بن يوسف، في عهد المأمون أيضاً، أحد أفراد البعثة العلمية إلى ملك الروم لانتقاء الكتب ونقلها إلى العربية، نقل أصول الهندسة لإقليدس.

- أصطفان بن باسيل، في عهد المتوكل، نقل كتباً لجيلانوس في الطب وكتباً لـ "دخروديس" ⁽¹⁾.

وبعد هذا العرض السريع لعصر الترجمة يظهر أنه قد مرّ بدورين:

1 - دور النقل المعجل إشباعاً للنهم العقلي، كما تجلّى زمن خالد ابن يزيد الأموي مثلاً. ففي تلك الفترة كان من الطبيعي أن تتسلل في هذا الدور بعض المصطلحات الأعجمية مثل: هيولي، فنتاسيا، وناموس ⁽²⁾، فلسفة، جغرافيا، سفسطي، إقليم، أثير ⁽³⁾.

2 - دور التمحيص والإتقان فيما تُرجم ويترجم، حيثُ تمّت خلاله مراجعة ما نُقل في هدوء، وتمّ وضع مصطلحات عربية خالصة بدلاً من المصطلحات الأعجمية، مع تحديد وزيادة وإبداع ⁽⁴⁾، وليس أدل على ذلك

⁽¹⁾ لمزيد من التفصيل انظر د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 392 - 401 .

⁽²⁾ سعيد زايد، الخوارزمي والمصطلح العلمي في كتابه مفاتيح العلوم، الدارة، العدد 1، ص 186،

السنة 6، الرياض - السعودية، شوال 1400هـ. - سبتمبر 1980م..

⁽³⁾ إقليميس داود، اللغة الشائعة في سورية قبل الهجرة، مجلة المشرق، م 1، بيروت - لبنان،

1898م..

⁽⁴⁾ سعيد زايد، المرجع السابق، ص 186 .

من أن المترجمين الذين كانوا يتقنون هذا العمل كانوا نخبة من رجال الفكر الذين يحسنون اللسان المنقول عنه واللسان العربي، الأمر الذي مكّنهم من استخدام أسلوب مولّد جديد يحتفظون فيه للعربية بصورتها النحوية والتركيبية، وقد عمدوا إلى تخصيص بعض ألفاظها للدلالة على المصطلحات الفلسفية والعلمية الجديدة، وكان إذا اضطرهم معنى لفظ أجنبي إلى الاحتفاظ به عربوه، كما حدث في أسماء كثير من النباتات والأحجار والعقاقير إلخ..

وكانوا كثيراً ما يضيفون صيغاً جديدة، ولكنهم لم يبتعدوا بها عن تركيب العربية، كما فعل ابن المقفع حيث يرى قارئ كتبه أن أسلوب الطابع العربي تام كامل⁽¹⁾.

وقد بلغت أعمال نسخ الكتب شأواً بعيداً، حيث شارك فيها العديد من النساء، ففي ضاحية قرطبة الغربية فقط، كان هناك ما يناهز 170 امرأة يتكسبن من نسخ الكتب، وكان ينشر في قرطبة كل عام 60 ألف كتاب⁽²⁾ في زمن لم يكن فيه طباعة ومطابع.

وأنشأ المسلمون هناك في كل منطقة أو محلة مدارس ومكتبات وترجموا كتب اليونان وأرسوا العلوم الرياضية والفلكية، واعتنوا بعلم الطبيعة والكيمياء، ووجهوا نشاطهم إلى كل علم وفن⁽³⁾.

ومما يدل على اهتمام المسلمين بحركة الترجمة والنقل واهتمامهم بالكتب أن ما كان في مكتبة الحَكَم الثاني حاكم الأندلس يناهز حوالي

(1) د. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 124 - 125 .

(2) راشد الكيلاني، التعاون الثقافي الإسباني العربي، مجلة التراث العربي، السنة 8، العدد 32، ص 100، إتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا، ذي القعدة 1408هـ. / تموز "يوليو" 1988م. - وانظر د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 166 .

(3) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 41 .

500 ألف كتاب، عُلّقَ على هوامش الكثير منها، ومن الجدير ذكره أن الحكم كان يحمل مكتبته معه على ثلاثين جملاً أينما رحل⁽¹⁾.

البحث العلمي:

رفض الإسلام التبعية الفكرية والتقليد الأعمى، ويُعطي القرآن الكريم مثلاً عن البحث والتقصّي في قوله جل وعلا: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۖ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۖ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ﴾⁽³⁾.

فهنا دعوة للنظر والتبصر والبحث والتقصي عما يدور حول الإنسان وفي نفسه. وكانت الدعوة للبحث حتى عن الآثار، قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْطَلَةٌ ۚ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ۚ﴾⁽⁴⁾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۚ﴾⁽⁵⁾.

فهاتان الآيتان تدعوان إلى البحث العلمي التاريخي الأثري، للتنقيب عن القرى البائدة، وأسباب انهيارها ودمارها، للاعتبار والانتفاع بما توصل إليه السابقون من كشوفات وتقديم حضاري⁽⁵⁾.

(1) راشد الكيلاني، المرجع السابق، ص 100 .

(2) سورة ق، الآية 6 - 8 .

(3) سورة الذاريات، الآية 20 - 21 .

(4) سورة الحج، الآية 45 - 46 .

(5) لمزيد من التفصيل انظر عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية، ص 326 -

331، دار القلم، ط1، دمشق - سورية، 1418هـ. / 1998م..

وحضارة المسلمين قامت على الجمع بين الدين والدنيا، قال تعالى:
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَخْسَنَ نَفْسَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾⁽¹⁾.

ففي هذه الآية يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يُعَلِّق قلب الإنسان بالآخرة، ولا يحرمه من أن يأخذ قسطه في هذه الحياة، ويمكنه كذلك من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية، التي لا حرمان ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة فيها.

وكما كانت الدعوة إلى البحث والتقصي في القرآن الكريم كذلك يظهر الأمر نفسه في السنة الشريفة، حيث لم يرتض رسولنا الكريم محمد ﷺ أن يكون المسلمون وراء كل ناعق، بل عليهم أن يُحكِّموا عقولهم ويميزوا بين ما يضرهم وما ينفعهم. وفي ذلك ورد عن ابن مسعود قول النبي ﷺ: "لا يكوْنَنَّ أحدكم إمعة. قيل: ما الإمعة؟ قال: الذي يقول أنا مع الناس"⁽²⁾.

فحثهم ذلك إلى إدراج المعرفة في النظر والتفكير عما يدور في هذا الكون الرحيب، والتدبر في آلاء الله تبارك وتعالى.

ويظهر من خلال دراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة مدى توجيههما المسلمين إلى البحث العلمي، تأملاً في السماء، وتأملاً في الأرض، وتأملاً في أغوار الأنفس، للوصول إلى الإيمان الحق، ولبناء الحضارة الإسلامية بناءً واقعياً مجيداً على أسسها الفكرية الراسخة⁽³⁾.

وفي هذا السياق جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه أنه رأى قوماً جالسين في المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم: من أنتم؟ قالوا: نحن

(1) سورة القصص، الآية 77.

(2) النهاية في غريب الحديث، ج1، ص 67.

(3) عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، المرجع السابق، ص 327.

المتوكلون على الله، فعلاهم بالدَّرة ونهرهم، وقال : لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأن الله يقول: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ ﴾⁽¹⁾.

والمؤمن يسخر الدنيا لنفسه، ولا يسخر نفسه للدنيا، أو يتخذها رباً من دون الله، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين زراعاً وتجاراً وحرفيين يعملون في هذه الدنيا حتى آخر لحظة في حياتهم تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ: " إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة⁽²⁾، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليفعَل "⁽³⁾،⁽⁴⁾.

فمن القرآن والسنة كانت الدعوة للعمل. لذا اهتم المسلمون بأمر العمل وعملوا على تقصي أسسه للارتقاء في كل مجالات الحياة، مما دفعهم إلى العناية بالبحث العلمي.

وبعد نضوج هذا الأمر جعل المسلمون للعمل الصناعي والعمراني المتقدم المتطور بالاختراع والابتكار أركاناً أربعة هي:

"- الركن الأول: العلم الذي يعتمد على وسائل الاختبار والتجربة والاستنباط، وموقف الإسلام منه موقف التحريض والحث وفتح كل مجالات المعرفة أمام المسلمين الملتزمين بإسلامهم إلا ما كان من هذه المجالات مزلقاً من مزالق الشر والأذى كالسحر.

- الركن الثاني: التخيل الذي يرتبط به الابتكار والاختراع، والتخيل أفق من آفاق البحث العلمي الذي من شأنه أن يتناول الأشياء

(1) سورة الجمعة، الآية 10.

(2) فسيلة: غرسه.

(3) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

(4) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 299.

الموجودة بالدراسة والأشياء غير الموجودة من المُمكّنات العقلية بقوة التخيل من جهة، وبمعالجة الأشياء بالتحليل والتركيب، والجمع والتفريق، والامتحان والاختبار من جهة أخرى، وموقف الإسلام من هذا الركن موقف الدفع والتحريض.

- الركن الثالث: اعتبار كل ما تصل إليه القدرات الإنسانية في هذا الكون الواسع الأرجاء مسخرًا لمنفعة الناس، ومباحًا لهم، وهذا الركن مما أعلنه الإسلام وحرص عليه.

- الركن الرابع: العمل الذي يرتبط به الإنتاج الصناعي والعمراني والاختراع والابتكار⁽¹⁾.

ومن هذا العرض يظهر أن الإسلام أوجب الدقة وتحري الحقيقة في كل شيء، وإنشاء الأسلوب الدقيق الذي يقوم على التجربة والاختبار.

تبع المنهج التجريبي:

اتَّبَعَ المسلمون في منهجهم العلمي التجريبي خطوات ثلاث هي:

"الخطوة الأولى: الوصف والتعريف، فعالم النبات ينظر في أنواع النبات المختلفة، وأوصاف الأوراق التي يحملها كل نبات، والأزهار الخاصة بذوات الأزهار، كما ينظر إلى غذاء كل نبات، وبعد أن ينظر إلى النبات من هذه النواحي وغيرها يُصنّفها ويُقسّمها إلى أسر وفصائل تتفق في الصفات والفصائل.

الخطوة الثانية: لا تقف عند المشاهدة والوصف بل تنتقل منها إلى الروابط، وافترض تفسير لتلك الروابط ثم امتحان صحة هذا الافتراض، بإجراء التجارب المختلفة على هذا الفرض حتى تثبت صحته.

(1) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 299.

الخطوة الثالثة: إذا ما انتهينا عن طريق التجربة إلى وضع قوانين معينة، آتينا بخطوة ثالثة، هي: خطوة تنظيم هذه القوانين الجزئية، لكي تدخل في نطاق أعم، بأن تصبح مبادئ عامة كلية⁽¹⁾.

هذا ويعتبر ابن الهيثم صاحب الفضل في تنظيم البحث العلمي إذ إنه كان يأخذ بالطريقة الاستقرائية كثيراً (أي باستخراج مفردات العلم من قاعدة عامة مفروضة) ثم يلجأ إلى الملاحظة الشخصية والتجربة ليكون واثقاً من النتائج التي يصل إليها⁽²⁾.

واعتمد ابن الهيثم في الرياضيات مثلاً، على مبدئي التحليل والتركيب في دراساته بوجه عام، وفي نهجه الرياضي بوجه خاص⁽³⁾.

وقد تحدث بإسهاب كثير من المسلمين والمستشرقين عن فضل وعلم ابن الهيثم، ومن تحدث عنه من المستشرقين زيغريد هونكة التي قالت: "واضطر هذا"⁽⁴⁾ نفسه إلى نقد النظريات التي جاء بها رُكنا المعرفة الهيلينية⁽⁵⁾ وذلك في نقطة أساسية، لقد علّم إقليدس وبطليموس بأن العين المجردة ترسل أشعةً إلى الأشياء التي تريد رؤيتها". فجاء ابن الهيثم وأعلن خطأ هذا الادعاء قائلاً: "ليس هناك من أشعة تنطلق من العين لتحقيق النظر، بل إن شكل الأشياء المرئية هي التي تعكس الأشعة على العين، فتبصرها هذه الأخيرة بواسطة عدستها".

(1) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 296.

(2) د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 34.

(3) لمزيد من التفصيل انظر عبد اللطيف أرناؤوط، الحسن بن الهيثم (354 - 430 هـ.)، مجلة التراث العربي، السنة 13، العدد 53، ص 119، دمشق - سورية، جمادي الأولى 1414 هـ. / تشرين الأول (أكتوبر) 1993 م..

(4) هذا : أي ابن الهيثم.

(5) المعرفة الهيلينية: الحضارة الإغريقية أو اليونانية. والمقصود برُكنا المعرفة الهيلينية هما إقليدس وبطليموس.

وبهذا يكون قد حقق اكتشافاً عظيماً جاوز به حدود القدامى في حقيقة الحواس الخمس وإمكاناتها، ومختلف أنواع الظواهر الضوئية، وأوجد قانوناً أيّدته تجارب مختلفة كل الاختلاف.

والواقع أن روجر باكون، أو باكوفون فارولام، أو ليوناردو دافنشي، أو جاليليو، ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي، إنما السّباقون في هذا المضمار كانوا من العرب^(١). والذي حققه ابن الهيثم، كما هو معروف عند الأوروبيين، لم يكن إلا علم الطبيعة الحديث، بفضل التأمل النظري والتجربة الدقيقة.

وفي حقل التجارب التي أجراها أثناء سجنه، وفي سنوات حريته المستردة، وُفق ابن الهيثم في دراسته لعلم البصريات وأحرز نجاحاً باهراً حقق له تقدماً فاق كل ما كان معروفاً شائعاً في مجالات هذا العلم، وأوجد بذلك حقلاً علمياً جديداً واسع الأرجاء.

كيف تحصل ظلمة القمر - أو كسوف القمر - عندما يكون له ضوء خاص به، بل يستقي نوره من الشمس؟ كان هذا سؤالاً تلتته أسئلة أخرى في عالم الفلك انتهت به إلى نظريته القائلة بوجود الظل في اتساع الأجسام المضئية، فلم يبق له إلا أن يجمع مصادر دراسته للنور، ففعل، ودرس من خلال تجارب عديدة كل ما يمكن أن يزيد في معلوماته، وأول ما خطه في هذا الموضوع، كان مخطوطة بعنوان "في طبيعة إلقاء الظل".

وكان ابن الهيثم أول من أجرى تجارب بواسطة نوع من (الآلة - الثقب) التي هي في الواقع صورة أولى لآلة التصوير فيما بعد، والتي برهنت له تمدّد أشعة الضوء بخط مستقيم، كما أنه لم يصدّق عينيه حين رأى صورة العالم مقلوبة رأساً على عقب لدى انعكاسها.

(١) العرب: أي المسلمون.

ولقد لجأ إلى نفس ترتيب التجارب التي لجأ إليها فيما بعد ليوناردو دافنشي، واكتشف تعليلاً لكثافة مختلف الطبقات كالماء والهواء، واختلاف مدى انكسار الضوء في كل منها، ثم حَسَبَ، بالاستناد إلى ما سبق، علوَّ الطبقة الهوائية المحيطة بالأرض وهي خمسة عشر كيلومتراً، وهكذا يكون خرج بنتيجة غاية في الدقة والصحة، لم يسبقه إليها أحد من قبل، ثم اهتم بتعليل ظهور الهلال، والغسق وقوس قزح، التي عجز عن شرحها علمياً الفيلسوف أرسطو ذاته. وتوسَّع، فيما بعد، بأبحاثه فشمل اهتمامه الآلات البصرية، فدرس وحسب درجة الانعكاس في المرايا المستديرة والمرايا المحرَّقة بالدوائر⁽¹⁾.

"وتوصل إلى معرفة قانون تأثير العاكسات الضوئية، ثم حقق في تأثير التقاء الأشعة وتكبير الأحجام، ليس بواسطة المراة المحرقة فقط، بل الزجاجية المكبرة، واخترع أيضاً أول نظارات للقراءة. وهكذا يكون ابن الهيثم قد أثبت عظمته وأستاذيته، كمفكر وعالم مجرب، في أبحاثه حول مسير الضوء ضمن الكرة، تجارب دفعت شارحه⁽²⁾ "كمال الدين" إلى القيام بها نظرياً بعد قرنين من الزمن.

لقد كان تأثير هذا العربي⁽³⁾ النابغة على بلاد الغرب عظيم الشأن فسيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصريات على العلوم الأوروبية حتى أيامنا هذه. فعلى أساس كتاب "المناظير" لابن الهيثم نشأ كل ما يتعلق بالبصريات، ابتداءً من الإنكليزي "روجر باكون" حتى الألماني فيتللو. وأما ليوناردو دافنشي الإيطالي، مخترع آلة (التصوير الثقب) أو الآلة المعتمدة،

(1) لمزيد من التفصيل انظر زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 148 - 149 .

(2) شارحه: شارح كتبه.

(3) العربي: المقصود المسلم.

ومخترع المضخة والمخرط وأول طائرة - ادعاءً -، فقد تأثر تأثراً مباشراً بالعرب⁽¹⁾، وأوحت إليه آثار ابن الهيثم أفكاراً كثيرة.

وعندما قام يوهانس كبلر، في ألمانيا، خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، "ببحث القوانين التي تمكن غاليليو بالاستناد إليها من رؤية نجوم مجهولة من خلال منظار كبير، كان ظل ابن الهيثم الكبير يحثم خلفه. وما تزال حتى أيامنا هذه، المسألة الفيزيائية الرياضية الصعبة، التي حلها ابن الهيثم بواسطة معادلة من الدرجة الرابعة، مبرهنناً بهذا عن تضلعه البالغ من علم الجبر، نقول، ما تزال المسألة القائمة على حَسْبِ موقع نقطة التقاء الصورة التي تعكسها المرآة المحرقة بالدوائر على مسافة منها، ما تزال تسمى بـ"المسألة الهيثمية" نسبة إلى ابن الهيثم نفسه"⁽²⁾.

وإذا ما أخذنا نموذجاً آخرَ من المنهج العلمي التجريبي الإسلامي فإننا نذكر الجزائري صاحب كتاب "الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل" والذي كتبه عام (602هـ. / 1206م.)، والذي يحوي أهم الأساليب والأدوات عند أسلافه ممن اعترف بفضلهم مع ذكر أسمائهم في الأماكن المناسبة. وقد نقد في مؤلفه "كل من وضع كتاباً عن الآلات من غير أن يقوم بتجربة تصاميمه بنفسه ليتأكد من عملها، وشكك في العلم الصناعي الذي لم تثبت التجربة، وبهذا تُعتبر أجزاء كتابه طريقة لإجراءات المعاييرة. وقام بتجربة ليختبر ثلاثة تصاميم مختصة في تنظيم جريان الماء ووجد أنها غير قابلة للعمل، فصمّم منظماً آخر وأجرى عليه سلسلة اختبارات وتجارب حتى صار قابلاً للعمل، لذلك يمكن القول أن الجزائري ومن سبقه من العلماء كانوا مطبّقين تماماً للمنهج العلمي التجريبي

(1) العرب: أي المسلمين.

(2) زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 150.

الإسلامي، فقد كانت معظم المصادر التي استعان بها الجزاري - على سبيل المثال - إسلامية وليست مترجمة عن الإغريقية أو غيرها، وذكر تقي الدين، الذي تأثر كثيراً بتراث الجزاري وأسلافه، أن كتب الإغريق قد أُهملت واختفت لأنها لم تصمد أمام الفحص والتثبت بالتجربة، وهذا كان رأي الجزاري وغيره من الباحثين الإسلاميين في الأعمال الإغريقية، التي تعتبر أفضل علم قديم معروف، وكان الفلاسفة الإغريق يعتقدون أن بإمكانهم اكتشاف الحقائق وحتى حقائق العلوم والتكنولوجيا الطبيعية عن طريق العقل النظري، وهذا ما يسمى بالمنطق وطرق الاستنتاج. ولهذا وقر الفكر الإسلامي الإيديولوجية (الفكرية) والمنهجية المناسبة لتطوير المنهج الإسلامي العلمي، وجاء تطوير القوة عن طريق تبني الآلات والأساليب القائمة من قبل وتحسينها المبدع واختراع آلات وتكنولوجيا جديدة كثمرة من ثمار الفكر الإسلامي، وهذا شارك في النقلة النوعية لتقدم الحضارة الإنسانية⁽¹⁾.

وفي مجال علم الحديث الشريف يبدو المنهج العلمي الإسلامي واضحاً "إذ وجد الواضعون⁽²⁾ عملهم سهلاً ميسوراً لأن فكرة العنينة⁽³⁾ أو الرواية الشفوية تفتح الباب على مصراعيه لكل نوع من التزوير.

وكذلك كان تزوير الوثائق التاريخية لصالح فئات، أو لإلحاق الضرر بها، فاشياً على نطاق واسع بين الناس. وقد اعتبر علماء المسلمين أن من واجبه أن يضعوا مبادئ وقوانين عامة لمعرفة الصحيح من المزور.

(1) د. سيد وقار أحمد حسيني، الفكر الإسلامي في تطوير مصادر المياه والطاقة، ص 313-314، تقدم د. محمود عكام، ترجمة سمية زكريا زيتوني، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط1، حلب - سورية، 1998م..

(2) الواضعون: واضعو الأحاديث الكاذبة.

(3) العنينة: روى فلان عن فلان عن فلان...

وقصة الخطيب البغدادي حين فضح الوثيقة التي منح يهود خيبر بموجبها امتيازات خاصة البغدادي شهرة واسعة باقية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخطيب البغدادي لم يضيف بذلك شيئاً جديداً بل فعل ما كان يفعل المسلمون الذين كانوا يقابلون بين التواريخ المذكورة في الخبر أو القصة التي يحققون في صحتها أو عدم صحتها، وإذا ظهر تباين أو تناقض حكموا بأن الخبر لا يمكن أن يكون صحيحاً بالشكل الذي ورد فيه⁽¹⁾.

وفي مجال التاريخ مثلاً فقد اعتمد المقرئ (ت. 846هـ. / 1442م.) للمنهج العلمي في كتابته لمؤلفه "خطط مصر" أو "الخطط المقرئية" ثلاثة مصادر هي:

أولاً: المصنفات الأدبية.

ثانياً: المعلومات التي استطاع جمعها من أساتذته ومعاصريه من العلماء.

ثالثاً: المعلومات المبنية على اختبار الشخصى وعلى مشاهداته. وعند كلامه عن أسلوبه التاريخي المتبع يقول: "وأما الرواية عمن أدركت من الجلة والمشايخ، فإني في الغالب والأكثر أصرح باسم من حدثني إلا أن لا يحتاج إلى تعيينه أو أكون قد أنسيته، وقل ما يتفق مثل ذلك. أما ما شاهدته فإني أرجو أن أكون، والله الحمد، غير متهم ولا ظنين"⁽²⁾.

(1) د. فرانز روزنتال، مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي، ص 130-131، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1403هـ. / 1983م..

(2) المقرئ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ص 4، إعداد د. سمير سرحان، د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، سلسلة التراث، الإسكندرية- مصر، 1998م..

العلماء والبحث العلمي:

خاض العلماء المسلمون معركة عنيفة للحفاظ على حقهم في البحث العلمي والفرص اللازمة لممارسته، ولكنهم، فيما يبدو، كانوا يخوضون معركة خاسرة. فإن ابن خلدون يقول لنا إن النشاط الهائل على مدى عدة قرون في كل حقل من الحقول الأدبية والعلمية أسفر عن تأليف عدد ضخم من الكتب، فلم يكن عمر العالم المختص يكفي لقراءة كل ما كتب في ميدان اختصاصه فكيف بدراستها. ومن هنا كان ازدياد الطلب على الكتب الموسوعية المختصرة. وقد رأى ابن خلدون من الضروري أن يخصص فصلين من مقدمته ليدلل على الأثر السيء لهذه الحال في العمل العلمي⁽¹⁾.

"ومن الأسباب الرئيسية التي كانت تمنع العالم من أن ينصرف إلى التخصص⁽²⁾ في فن واحد، صفة إنسانية تعم البشر جميعاً وهي كراهية الإنسان للاعتراف بجهله. ولقد كانت هذه الصفة بارزة بصورة واضحة في عصر المخطوطات، فقد كانت صعوبة الحصول على الحقائق والمعلومات المدونة، تلك الصعوبة التي أسفرت عن تقدير الناس للحفظ والعلم المحفوظ وإحلاله المحل الأول، جعلت العالم الذي يود أن يحتفظ بمقامه وشهرته في المجتمع أن يكون مستعداً للإجابة عن كل سؤال. ومن النادر أن نعثر على عالم يعترف أن الذاكرة كانت تخونه، أو أن الخبر لم يعلق بذهنه، أو أنه يجهل هذا الأمر. ويبيدي أبو الحسن الدارقطني دهشته واستغرابه من أن أبا بكر الأنباري تراجع عن غلطة ارتكبها في حلقة وأصلح خطأه عندما نبهه الدارقطني على ذلك، وكان أبو الحسن الدارقطني يحضر مجالسه، وقد ذكر الأنباري اسم الدارقطني على أنه هو

(1) ابن خلدون، المرجع السابق، ص 106.

(2) د. فرانز روزنتال، المرجع السابق، ص 166.

الذي نسبّه إلى الخطأ⁽¹⁾. ويعترف ابن رشيق بضَعْف ذاكرته فيذكر لنا خبراً ما قيل في ذي الرمة وفي أبي تمام يشبه الخبر الذي كان يتكلم عنه، ولكنه لم يحفظه⁽²⁾.

"وقد سبقه إلى الاعتراف بضَعْف الذاكرة الثعالبي، فإنه كثيراً ما يذكر في مواضع مختلفة من تصانيفه أنه نسي بعض الأسماء أو رواية بعض الأشعار، أو أنه لا يذكر سوى بعض أبيات من القصيدة أو سوى أبيات لشاعر ما⁽³⁾. ولذا نجد أن الثعالبي كان يذكر بعض الشعراء في آخر كتابه "تمة اليتيمة" وليس في مواضعها المقررة لها لأن الشيطان أنساه ذكرها في أماكنها"⁽⁴⁾.

منجزات المنهج التجريبي:

كان للمنهج التجريبي أهمية كبرى في حياة العلماء المسلمين حيث يتبين أنهم:

1 - أول من استعمل المنهج التجريبي، واستخرج المجهول من المعلوم، واستنبط العلل من العلولات، ولم يسلموا أبداً إلا بما يثبت بالتجربة والترصد.

2 - فحصوا تراث الإغريق العلمي، الذي انتقل إلى البيزنطيين وغيرهم، فلم يستفيدوا منه، أو يمحصوه، فلما آل إلى المسلمين درسوه ونقحوه، وأبانوا ما فيه من زيف، وما فيه من علم يستحق التطوير.

(1) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج7، ص 74، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993م..

(2) ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج7، ص 74.

(3) الثعالبي، تمة اليتيمة، ج1، ص 13، 26، 31، 85، وفي الجزء 2، ص 76 - نقلاً عن د. فرانتز روزنتال، المرجع السابق، ص 167.

(4) الثعالبي، تمة اليتيمة، ج2، ص 88 - نقلاً عن د. فرانتز روزنتال، المرجع السابق، ص 167.

3 - اعتماد المسلمين على المنهج التجريبي، منح مؤلفاتهم دقة وإبداعاً وثقة فتحت آفاقاً بعيدة في العلم، وكان سبباً في فتح كنوز الأرض وخيرها على العالم⁽¹⁾.

وهذا الفضل في أهمية المنهج التجريبي العلمي اعترف بفضله جهابذة المستشرقين الغربيين وعلى رأسهم د. غوستاف لوبون⁽²⁾ الذي له تحقيقات واسعة يشرح فيها فضل المسلمين على المدنية الغربية الحديثة، فمما جاء منها لدى حديثه عن مناهج المسلمين العلمية: "إن خزائن الكتب والمختبرات والآلات هي مواد للتعليم والبحث اللازم، ولكنها ليست إلا أدوات وقيمتها مناطة بالطريقة التي تستعمل فيها، فقد يتلقف المرء علم غيره وهو عاجز عن أن يفكر فيه بنفسه أو يتدع أي شيء، وقد يكون تلميذاً دون أن يوفق إلى أن يصبح أستاذاً، أما العرب⁽³⁾ فبعد أن كانوا تلاميذ عاديين أساتذتهم تأليف اليونان أدركوا للحال أن التجربة والترصد خير من أفضل الكتب (يعني بذلك ما تدخل في مجالات العلوم المادية والصناعات) هذه الحقيقة اليوم معروفة لا يعدّ العمل بها بدعاً، ولكنها لم تكن كذلك في سالف الدهر، فقد ظل علماء القرون الوسطى يشتغلون ألف سنة قبل أن يدركوها"⁽⁴⁾.

ويقول د. غوستاف لوبون أيضاً: "إن أول من قام بالتجربة والترصد في الغرب هو بيكن. ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب⁽⁵⁾ وحدهم، وقد أبدى هذا الرأي مع ذلك جميع العلماء الذين

(1) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 298.

(2) د. غوستاف لوبون: عالم نفس واجتماعي فرنسي. كان متعصباً للعنصرية، وهو من الكتاب الغربيين الذين ألفوا عن الإسلام والحضارة العربية الإسلامية .

(3) العرب: أي المسلمون.

(4) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص 161 - 162 .

(5) العرب: أي المسلمون.

درسوا مؤلفات العرب⁽¹⁾، ولا سيما همبولد. العالم الشهير الذي بنى بحوثه على التجربة، ثم قال: إن من قام على التجربة والترصد هو أرفع درجات العلوم قال: إن العرب⁽²⁾ ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريباً⁽³⁾.

أما كوبلر يونج فقال في ذلك: "ليس هناك من شك في أن روح البحث العلمي الجديد وطريقة الملاحظة والتجربة اللذين أخذت بهما أوروبا إنما جاءا من اتصال الطلاب الغربيين بالعالم الإسلامي"⁽⁴⁾.

أما زيغريد هونكة فقالت: "فالعرب⁽⁵⁾ في الواقع، هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة.

لقد سرت بين العلماء الإغريق، الذين لم يكونوا جميعاً بالإغريقين بل كان أغلبهم من أصل شرقي، سرت بينهم رغبة في البحث الحق، وملاحظة الجزئيات، ولكنهم تقيّدوا دائماً بسيطرة الآراء النظرية. ولم يبدأ البحث العلمي الحق الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئيات إلى الكلّيات، وأصبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية السليمة للباحثين. وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل. وبالتجارب العلمية الدقيقة التي لا تحصى، اختبر العرب النظريات والقواعد الآراء العلمية مراراً وتكراراً، فأثبتوا صحة الصحيح منها، وعدّلوا الخطأ في بعضها. ووضعوا بديلاً للخاطئ منها متمعين في ذلك بجرية كاملة في الفكر والبحث، وكان

(1) العرب: أي المسلمون.

(2) العرب: أي المسلمون.

(3) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 297.

(4) كوبلر يونج، أثر الإسلام الثقافي على المسيحية، مجلة آفاق الإسلام، السنة 5، العدد 1،

ص 59، عمان - الأردن، آذار 1997م..

(5) العرب: أي المسلمون.

شعارهم في أبحاثهم - الشك هو أول شروط المعرفة- تلك هي الكلمات التي عرفها الغرب بعدهم بثمانية قرون طوال. وعلى هذا الأساس العلمي سار العرب⁽¹⁾ في العلوم الطبيعية شوطاً كبيراً، أثر فيما بعد، بطريق غير مباشر، على مفكري الغرب وعلمائه أمثال روجر باكون، وماجنوس، وفيتيليو، وليوناردو دافنشي، وجاليليو.

إن العرب⁽²⁾ لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع. وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم والتي سُرِقَ أغلبها ونُسِبَ لآخرين، قدم العرب⁽³⁾ أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم.

ولعل أبرز رجال الغرب الأوائل الذين بهرهم حضارة العرب⁽⁴⁾ ولم ينجحوا من الارتباط بهم هو القيصر الصقلي فردريك الثاني، أحد القياصرة الأعلام في التاريخ⁽⁵⁾.

هذه نبذة عن المنهج العلمي لدى المسلمين الذي بهر علماء الغرب طيلة قرون، وحرى بنا بأن نعود إلى ما كان عليه أسلافنا من أمة محمد ﷺ إذا ما عدنا وتمسكنا بما تمسك به الأوائل من أبناء هذه الأمة، ألا وهو التمسك بالدين الحنيف المنفتح على العالم لما فيه خير البشرية ابتداءً من

(1) العرب: أي المسلمون.

(2) العرب: أي المسلمون.

(3) العرب: أي المسلمون.

(4) العرب: أي المسلمون.

(5) زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 401 - 402 .

أول ما نزل من القرآن وهو قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾⁽¹⁾، إلى آخر تنزيل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽²⁾. حتى كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس. وهي متمثلة بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽³⁾. وإن غدا لناظره قريب بأن نعود خير أمة، بإذن الله.

(1) سورة العلق، الآية 1.

(2) سورة المائدة، الآية 3.

(3) سورة آل عمران، الآية 110.

الفصل الرابع

من أثر حركة الترجمة والعلوم الإسلامية في الأندلس

تمهيد

قامت الحضارة الإسلامية بدور كبير في إنماء أوروبا عبر الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا والحروب الصليبية.

ومن آثار هذه الحضارة أنها نقلت علوم الأقدمين وطورها بما يتناسب ومعطيات العصر الذي دونت فيه إضافة إلى العلوم الإسلامية التي اشتهرت في زمنها.

وكان هناك فضل كبير لحركة نقل العلم الإسلامي إلى العالم المسيحي خاصة في الأندلس لأنها "كانت موطناً للعلوم والعلماء، ووفد إليها كثير من طلاب العلم في أوروبا بأعداد غفيرة في كل فن وعلم، في الطب، في الصيدلة، والكيمياء، والنبات، والرياضيات، والفلك، والفلسفة، وكانت جامعة قرطبة ومكتبتها مركزاً للعلوم، يشع منها العلم إلى كل أرجاء القارة الأوروبية. ولقد قام العلماء - بتشجيع من الخلفاء - على مواصلة البحث العلمي، والتأليف، والترجمة، حتى بلغ عدد الكتب الموجودة في مكتبة جامعة قرطبة وحدها نصف مليون كتاب، وضع لها فهرس مكون من أربعة وأربعين مجلداً. وكان شغل الأمراء والخلفاء وعظماء الدولة هو جمع العلماء والمؤلفات من شتى الأقطار، واقتناء الكتب، ومواصلة البحث، وعقد الندوات العلمية، ولهذا بلغت النهضة العلمية والحضارية في بلاد الأندلس مبلغاً دعا إلى الدهشة والإعجاب، وقال كثير من علماء الغرب: إن الخدمات العلمية التي أداها المسلمون للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين، وإن البحوث الحديثة دلت على اغترافنا من العلم العربي⁽¹⁾ في العصور الوسطى، بينما كانت أوروبا غارقة في ظلمات الجهالة"⁽²⁾.

(1) العربي: أي الإسلامي.

(2) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 454.

وفي هذا المجال تقول الدكتورة زيغريد هونكة: "إن أوروبا تدين للعرب⁽¹⁾ وللحضارة العربية⁽²⁾، وإن الدّين الذي في عنق أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد، لكن التعصب الديني، واختلاف العقائد، أعمى عيوننا، وترك عليها غشاوة، حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة لفضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة"⁽³⁾.

ثم تقول: "إن هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء، ومن العدم، من أعجب النهضة العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري. فسيادة أبناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة من نوعها، وإن الإنسان ليقف حائراً أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة. هذه المعجزة العربية، التي لا نظير لها، والتي يحار الإنسان في تعليلها وتكييفها، إن هذا الشعب الصحراوي حمل لواء النهضة العلمية الفكرية في العالم، وبسرعة البرق قبض على صولجان السيادة الثقافية في العالم"⁽⁴⁾.

وتضيف الكاتبة الألمانية زيغريد هونكة في تعليق لها حول اللغة العربية جاء فيه: "ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، حسبما كان يشكو أساقفة إسبانية بمرارة. فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم⁽⁵⁾ في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشغف، حتى إن

(1) للعرب: أي للمسلمين.

(2) العربية: أي الإسلامية.

(3) زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 1- وانظر د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 454.

(4) زيغريد هونكة، المرجع نفسه، ص 257.

(5) بعد الفتح الإسلامي للأندلس.

اللغة القبطية، مثلاً، ماتت تماماً. بل إن اللغة الآرامية، لغة المسيح -عليه السلام-، قد تختل إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد -عليه السلام-.

كما أنه وجب ترجمة بيانات البابا وقرارات المؤتمرات المسيحية في القرن التاسع⁽¹⁾ إلى العربية، للأقلية المسيحية في الأندلس التي لم تعد تفهم اللغة اللاتينية. وحتى بعد احتلال المسيحيين ثانية للأندلس، فقد رأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين، بعد تحررهم⁽²⁾، إلى اللغة العربية⁽³⁾.

وبقيت اللغة العربية محتفظة بمكانتها الرفيعة عند النصارى، لغة للعلم والحضارة "أكثر من مائتين وخمسين سنة، بعد سقوط طليطلة في الأندلس بأيدي النصارى في سنة (478هـ./1085م). فقد استمر المعاهدون⁽⁴⁾ يستخدمون اللغة العربية في تحرير عقود الزواج والممتلكات، وفي غيرها من المصالح العامة حتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مما أدى إلى دخول كثير من المفردات والمصطلحات العربية في اللغة الإسبانية الحديثة.

كما اضطر رجال الكنيسة - نظراً لانتشار اللغة العربية واستخدامها - إلى تعريب مجامعهم القانونية وإلى قراءتها باللغة العربية في الكنائس الإسبانية.

(1) التاسع الميلادي/ الثالث الهجري.

(2) بزعمها، لأن النصارى لم يكونوا مضطهدين في دولة الإسلام، وأهم دليل على هذا وجود النصارى من السكان الأصليين حتى الآن في كافة بلاد المسلمين بعكس ما تصرف به النصارى مع المسلمين في كل بلد احتلوه وسيطروا عليه.

وفي بعض الفترات التي اضطهد فيها أهل الذمة في بعض أنحاء العالم الإسلامي عبر التاريخ، كان المسلمون مضطهدين أيضاً من حكاهمهم، وفي بعض المراحل التاريخية جرى التشدد في مراقبة أهل الذمة نتيجة لتعاون قسم منهم مع أعداء الإسلام ضد الدولة الإسلامية.

(3) زيفريد هونكة، المرجع السابق.

(4) المعاهدون: أهل العهود والمواثيق.

كما قام خوان الإشبيلي Juan de Seville بتحرير معارض⁽¹⁾ الكتب المقدسة باللغة العربية ليفهمها الناس. كما استخدم خايمي الأول Jaime I ملك أرغونة Aragon اللغة العربية في تحرير كتاب التقسيم El libro del Repartimient فقد سجل الملك في هذا الكتاب أحياء جزيرة ميورقة Mallorca ودُورُها التي وزعها على النبلاء والفرسان الذين اشتركوا معه في الاستيلاء على ميورقة في شهر (صفر سنة 627هـ./ديسمبر 1229م). كذلك استخدمت اللغة العربية أيضاً في كتابة العقود التي كانت تجري بين المسلمين المدجنين⁽²⁾. وفي كتابة العقود التي كانت تجري بين المدجنين والنصارى.

وجميع هذه الوثائق هي عقود تعامل من بيع وشراء أو هبة وإيجار إلخ... جرت في مدينة طليطلة خلال القرنين (6 و 7 هـ./12 و 13 م).⁽³⁾ وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد على جميع الوثائق شهود مدجنون، ولكنهم لم يوقعوا أسماءهم بأيديهم⁽⁴⁾، بل كتبها عنهم الموثق مسبقة بعبارة: كتب عنه وبأمره⁽⁵⁾.

كما كانت اللغة العربية لغة العلوم والرياضيات، وهذه شهادة لأحد العلماء الغربيين يقول فيها: "كان الدافع الأول للاهتمام بالعربية هو أن

(1) معارض: شروحات.

(2) المدجنون: اسم أطلق على مسلمي الأندلس الذين انضموا إلى المجتمع الإسباني بعد سقوط الأندلس - المنجد في اللغة والأعلام قسم الأعلام، ص 526، المنجد في اللغة، ط 35، المنجد في الأعلام، ط 2، دار المشرق، بيروت - لبنان، 1996م..

(3) د. هشام أبو رميلة، الإسبان والحضارة الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، م 30، ج 2، ص 674 وما بعدها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت - الكويت، ذو القعدة 1406هـ. - ربيع الآخر 1407هـ./ يوليو - ديسمبر 1986م..

(4) لعل سبب عدم التوقيع، رغم كون المسلمين متعلمين، هو الاضطهاد الشديد الذي عاشه المدجنون، بحيث كانت كلمة الكاتب هي الفصل، والشهود تحصيل حاصل لطبيعة الواقع، أو كانت أسلوباً معتمداً في ذلك الوقت (شهادة دون توقيع، فقط ذكر الاسم).

(5) د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 676.

استعمالها كان كوسيلة من أجل فهم ما كتب بها في الرياضيات، وذلك لأهمية الرياضيات العربية في القرن-الحادي عشر الهجري-/السابع عشر- الميلادي- بينما كانت الرياضيات الأوروبية آخذة في التطور والنمو"⁽¹⁾.

ويقول الفيلسوف الألماني "نيتشه": "حرمنا المسيحية من ميراث العبقريّة القديمة التي حرمنا بعد ذلك من الإسلام"⁽²⁾.

والحضارة الإسلامية فرضت نفسها في الأندلس وفي غيرها من البلاد، بفضل ما لها من خصائص ومقومات، لا يشاركها فيها أية حضارة أخرى، وبهذا أصبحت المدن الإسلامية، ومنها مدن الأندلس، منارات علمية. وأولع الشباب الأوروبي بالثقافة الإسلامية وأقبلوا على تعلم اللغة العربية لغة الثقافة والعلم لدرجة أنهم هجروا لغتهم القومية، وثقافتهم الدينية، وفكرهم اللاهوتي. وارتفعت أصوات الرهبان بالشكوى من جراء ذلك، لأن الشباب وجد من أخلاق المسلمين ومعاملتهم وعلمهم ما أسرَّ لبهم، ولفت انتباههم إلى هذه الحضارة السامية"⁽³⁾.

وكتب جورج الثاني ملك إنجلترا إلى هشام الثالث الخليفة الأموي بالأندلس يقول: ("لقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع به معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل؛ لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم، لنشر أنوار العلم في بلادنا، التي يسودها الجهل من أربعة أركان". ولقد أرسل الملك وفداً برياسة وزيره الأول إلى الأندلس، وكان ملك بلغاريا قد أرسل وفداً إلى الأندلس في عهد هشام الأول؛ لدراسة نظم الحكم، ومناهج التعليم، وأساليب الإدارة. وعند عودة البعثة أمر الخليفة بأن يرافقها مستشارون وخبراء من

(1) د. نيقولاوس فان، المرجع السابق، ص 12.

(2) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 455.

(3) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع نفسه، ص 455.

الأندلس، ليساعدوا الملك في كل ما يريد، ثم أخذ ملوك أوروبا ينسجون على منوال ملك بلغاريا⁽¹⁾.

وبلغت أصول ومراسيم المقابلات بالنسبة للأندلس حداً عالياً فاقت غيرها من البلدان. وكانت هنالك حقوق وحصانات للوفود القادمة، وكانوا يكرمون منتهى الإكرام وتقدم لهم الهدايا. كما وضعت بذور السفارات الدائمة⁽²⁾.

وفي معرض الحديث عن المنصفين للحضارة الإسلامية وعظمتها وأثرها قالت زيغريد هونكة عن الحضارة الأندلسية التي أقامها المسلمون هناك فترة حكمهم لتلك البلاد التي دامت حوالي 800 سنة: "خلقت الأسر العربية الحاكمة للأندلس حضارة زاهرة. وتسابق الأمويون في قرطبة وبنو عبّاد في أشبيلية، وبنو نصر في غرناطة في بناء صرح الحضارة الشامخ"⁽³⁾.

بينما بقي جيرانهم "على الجانب الآخر من البرانس"⁽⁴⁾ قرنين وثلاثة وأربعة قرون يصمون آذانهم ويغمضون عيونهم عن جنة العلوم والبناء والغناء والشعر والمرأة في الأندلس.

ورأوا في تلك الحضارة الزاهرة صورة قائمة سوداء "للكفرة" من أصحاب محمد تضم السحرة وحلفاء الموت والشيطان. لقد كانوا، في الواقع يخشون نور المعرفة على عيونهم التي اعتادت الظلام. ولكن تلك اليد السحرية لم تلبث أن لمست الغرب برغم أنفه لتزهه من سباته العميق"⁽⁵⁾.

(1) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 450.

(2) د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 66.

(3) زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 475.

(4) البرانس: سلسلة جبال تفصل بين إسبانيا وفرنسا.

(5) زيغريد هونكة، المرجع نفسه، ص 475.

الحركة العلمية:

إن الحركة العلمية في بلاد الأندلس وفي أوج ازدهارها جذبت آلافاً من اليهود والمسيحيين إليها. "ويذكر ابن الحجازي أن الطلبة من كل أنحاء الدنيا تَدَفَّقُوا على بلاد الأندلس، وعلى قرطبة بالذات ليتعلموا فيها، خاصة أيام حكم الأمويين بين القرنين (الثاني والسادس الهجري/ الثامن والحادي عشر الميلاديين).

ولا شك أن الحركة العلمية في الأندلس اعتمدت بادئ ذي بدء على علوم الإغريق ومجهودات علماء بغداد والمشرق الإسلامي. ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فلم تلبث الأندلس أن استقلت فكراً. ولعل في سمائها أسماء عريضة لعلماء فطاحل أمثال الفيلسوف الكبير ابن رشد وابن زهر وابن طفيل الذي ترجمت كتبه إلى عدد كبير من اللغات الأوروبية وابن ماجة وابن البيطار وابن فرناس وابن الخطيب والفيلسوف العالمي ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع والعالم الصوفي ابن عربي وابن سبعين وغيرهم من الأعلام.

وكان للحكم الثاني أكبر الفضل في بدء تلك الحركة العلمية، فقد اهتم اهتماماً كبيراً بتثقيف شعبه. وإذا كان أبوه عبد الرحمن قد اهتم بالسياسة والاقتصاد فقد جعل الحكم كل هدفه السير بالأندلس قدماً في طريق العلم والمعرفة، لِيَتَّبِعُوا أعلى مكانة بين الأمم المتحضرة. ولا تعني أن أسلاف الحكم لم يهتموا بالحركة العلمية، لقد كانوا هم الذين جعلوا من كل مسجد مدرسة وأنشأوا في كل حيّ داراً للكتب وزودوها بمئات الألوف من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع. ولكننا نعي أن الحكم قد بلغ الذروة بما قدمه للعلم والعلماء، لقد أنشأ على سبيل المثال سبعاً وعشرين مدرسة جديدة يتعلم فيها أبناء الفقراء مجاناً ودفع من ماله الخاص أجور معلميها. كما ساهم بنفسه في كل نواحي النشاط العلمي

والأدبي في قرطبة. واستغلَّ الثروات الضخمة التي تركها له أبوه في الإنفاق على الأبحاث العلمية وشراء الكتب. وانتشر رجاله في كل مراكز الثقافة الإسلامية يبحثون عن النادر من الكتب والمخطوطات ويدفعون أغلى الأثمان بغية الحصول عليها، بل وكانوا يصادقون تجار الكتب في كل مكان ليدلوهم على ما صدر منها وما هو بسبيله إلى الصدور. وكان يحدث كثيراً أن يشتروا الكتب من مؤلفيها... قبل أن ترى النور في البصرة أو الموصل. فقد كان الحكم يجد متعة كبيرة في أن يكون أول قارئ لما يصدر من الأبحاث الجديدة"⁽¹⁾.

وفي مقارنة سريعة بين ما وصلت إليه الحضارة في الأندلس وبين حاضر أوروبا آنذاك يظهر أن "رجال الطبقة العليا والإقطاعيون في أوروبا يفخرون بجهلهم، ويوم كانت أوروبا تزخر بالجهل، كانت الأندلس تزخر بالعلم والنور وبالمكتبات والجامعات. ويوم كانت قرطبة تزهر بشوارعها الممتدة أميالاً عديدة مبلطة ومضاءة بالمصابيح العامة لم يكن في لندن مصباح عمومي واحد، حتى بعد هذا التاريخ بسبعة قرون. ولم يكن يستطيع أحد من سكان باريس بعد هذا التاريخ بقرون أن يتخطى عتبة بيته في يوم مطير حيث سيغوص في الوحل. ويوم كانت جامعة أكسفورد في إنكلترا تعتبر الاستحمام عادة وثنية كانت قرطبة قد مرَّ عليها زمن طويل متمتعة بالحمامات الرشيقة. ويوم كانت أوروبا تعتبر المرض قدر الله وقضائه فلا يجب أن يقاوم كان المسلمون يتمتعون حتى بالمستشفيات المتنقلة، والأجنحة لكل مرض في مستشفيات ذات إمكانيات عالية وعناية رفيعة.

فكانت الإمامة للأندلس في العلم والنور ومنها ابتداء مشعل التقدم الإنساني الذي لا يقوم على الحقد لأي جنس أو أي دين. ومن هذا المنهل

(1) زغيريد هونكة، المرجع السابق، ص 500 - 501.

ارتوت حضارات العالم وأوروبا، ونقلت إلى لغاتها الكتب الإسلامية لمختلف العلوم التي دُرست في الجامعات الأوروبية قروناً طويلة⁽¹⁾.

وذكرت زيفريد هونكة غيضاً من فيض حول ما حوته الحضارة الإسلامية فقالت: "إن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حداً قريباً من الكمال، وحسابهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات الدائرية، وبصرياتهم الدقيقة، كل ذلك أفضال عربية⁽²⁾ على الغرب ارتقت بأوروبا إلى مكانة، مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا هذه"⁽³⁾.

إقبال الغربيين على حضارة المسلمين :

أقبل الغربيون على دراسة حضارة المسلمين للإفادة من علومها بعد أن تمرد الشباب وطلاب العلم على الكنيسة المتمثلة بسطوة رجالها والإرهاب الفكري الذي فرضته على الناس لفترة طويلة⁽⁴⁾، في عصر بلغت الترجمة فيه القمة في مدينة طليطلة مثلاً من بلاد الأندلس زمن ألفونسو السادس عام (478هـ./1085م.)، وكان من أشهر المترجمين "يوهانس حنا لنزيس" و"جند بالقوس" اللذين برعا بنقل التراث العربي إلى اللغة الإسبانية⁽⁵⁾، كما نقل الكثير غيرهما العديد من كتب التراث العربية إلى اللاتينية.

(1) د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 69 - 70.

(2) عربية: أي إسلامية.

(3) زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 163.

(4) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 42 - لمزيد من التفصيل عن عصر الظلام والجهل والحرمان الذي كانت أوروبا تزح تحته انظر د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 28 - 29.

(5) لمزيد من التفصيل انظر د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع نفسه، ص 42.

وانتشر التراث الإسلامي في أوروبا بسرعة كبيرة حتى بعد سقوط آخر معقل من المعاقل الإسلامية في غرناطة سنة (898هـ. / 1492م.). وما كاد القرن (الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي) أن ينتهي حتى كانت الأجزاء الخمسة الأولى من كتاب الهندسة لإقليدس قد قررت ضمن المناهج الدراسية في كثير من الجامعات الأوروبية⁽¹⁾.

كما ترجم جيرار الأوروبي المولد النسخة العربية لكتاب المحسني وكل كتب الخازن والفارابي وترجم كتاب الجبر للحوارزمي⁽²⁾، ويكمن سر نجاح هذه الترجمات في إتقان هؤلاء المترجمين للعربية واللاتينية معاً.

وكانت الطريقة المستخدمة للترجمة في القرون الوسطى، أن يضع الموظفون المختصون "الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية التي في الأصل. ثم تراجع اللاتينية على يدي كبير الموظفين، وتحمل الترجمة بعد انتهائها اسم من راجعها"⁽³⁾.

مدرسة ألفونسو للترجمة في الأندلس في مدينة مُرسِيه:

بالإضافة إلى طليطلة كانت هناك مدرسة للترجمة في مدينة مرسية عُرفت بمدرسة ألفونسو ويمكن تقسيم حركة الترجمة فيها إلى فترتين:

- الفترة الأولى: إبتدأت في سنة (654هـ. / 1256م.) واستمرت أربع سنوات ترجمت خلالها كتب علمية وأدبية. وكان نظام العمل في هذه المدرسة يشبه نظام العمل في المرحلة الأولى من حركة الترجمة، فاشترك عربي أو يهودي مع راهب مسيحي في عمل الترجمة. وقام بعض مترجمي المدرسة العربية اللاتينية بالعمل في المدرسة العربية الإسبانية، مثال

(1) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 42.

(2) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع نفسه، ص 43.

(3) د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 668.

ذلك ألفارو الأوبيدي Alvaro de Oviedo ويهودا بن موسى وهرمان الألماني وغيرهم⁽¹⁾.

- الفترة الثانية : ابتدأت في سنة (658هـ. / 1260م.)، بعد أن فرغ ألفونسو العاشر من أعماله الحربية، وبدأ ينصرف إلى الأعمال الثقافية والعلمية⁽²⁾ مما دفع بزخم جديد لحركة الترجمة. فأعيد في هذه الفترة ترجمة ما لم تحز ترجمته القبول في الفترة الأولى، وصيغ في لغة أحسن من الأولى، وأضيف إليه ما كان ينقصه حتى ظهر كاملاً، وتم خلال هذه الفترة أيضاً وضع الجداول الفلكية وكتاب الأحجار والشطرنج⁽³⁾ والتاريخ العام بالاعتماد على مصادر عربية⁽⁴⁾.

هذا، ويقول أرنولد شتيجر: " كان ألفونسو العاشر معجباً أشد الإعجاب بالثقافة والحضارة الإسلامية، التي قُدر له أن يشاهدها عندما

(1) د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 670.

(2) أمر ألفونسو العاشر في السنة الثالثة من اعتلائه عرش قشتالة سنة (653هـ. / 1255م.)،

بإنشاء حلقة للدراسات العربية اللاتينية - د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 671.

(3) عرفت أوروبا الشطرنج لأول مرة في الأندلس. وفي كتاب ألفونس العاشر "وصف لعبة يُكتب لأول مرة بلغة أوروبية. ولا شك في أن كلامه عن هذه اللعبة وعن لعبة النرد مأخوذ من مصادر إسلامية.

أما الشطرنج فاختراع هندي في أصله، اخترعه الهنود، وأهداه ملكهم إلى كسرى أنو شروان، وأوجب ملكهم على نفسه أن يلتزم الضريبة عن بلاده لملك الفرس كل سنة إذا استطاع كسرى ومن عنده أن يفكوا رموز هذه اللعبة، وأن يحل نفسه من هذا الالتزام إذا عجزوا. ورأى كسرى أنه أمام هدية خطيرة ليست كسائر الهدايا فعهد بها إلى حكيمه المشهور "بزرجمهر" (برزك مهر) الذي أخذ يتأملها، ويدرسها، ويدقق النظر فيها حتى فهمها، وعرف سرها الذي بنيت عليه. وفطن إلى أن تلك القطع والحجارة تصور الجيوش في الحروب. وقال: إن هذه اللعبة إنما وضعت لحرب، وجعل الأكبر منها الملك، والذي يليه الوزير، ثم كبار القواد وغيرهم من المحاربين حسب درجاتهم في نظام الجيش. ولما علم ملك الهند أن الإيرانيين فطنوا إلى سر اللعبة التزم بالضريبة يؤديها كل عام.

(4) د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 671.

أتاحت له الظروف أن يزور الأندلس في صباه، فعمل على استدعاء العلماء المسلمين واليهود، وأسس المدارس والمعاهد، وقام بترجمة كثير من المؤلفات التاريخية والرياضية وغيرها إلى اللغة الرومانية. ويمكن اعتباره رمز الثقافة الإسبانية في العصور الوسطى⁽¹⁾.

وكانت مدينة مرسية Murcia تنافس مدينة طليطلة في الأثر الثقافي الذي خلفه المسلمون المدجنون. وفي ذلك يقول أحمد لطفي عبد البديع: "إذا كانت هناك مدينة من مدن إسبانيا تنافس طليطلة في الأثر الثقافي الذي خلفه المدجنون فهي مدينة مرسية. فقد أذكى فيها ألفونسو الحكيم قبل توليه العرش وبعده الحركة الثقافية، وجمع حوله طائفة من علماء المسلمين والمسيحيين واليهود ليرجموا الكتب العربية إلى الإسبانية، أو ينقلوها عنها، كما ظهر ذلك في المدونة العامة لتاريخ إسبانيا وهي مفاخر ألفونسو الحكيم"⁽²⁾.

أفضل المترجمين في الأندلس:

لعل من أفضل المترجمين الذين نقلوا التراث الإسلامي من العربية إلى اللاتينية جيرار دو كريموي، فقد نقل إلى اللغة اللاتينية واحداً وسبعين عملاً من اللغة العربية. ويرجع ذلك إلى كثرة ما عثر عليه في مدينة طليطلة من المؤلفات الإسلامية، كما يرجع إلى بقاء كثير من العلماء في طليطلة ممن يتقنون التحدث باللغتين العربية والإسبانية، سواء كانوا من المسلمين أو المعاهدين أو اليهود. وقد استمرت حركة الترجمة في طليطلة تسير قدماً إلى الأمام بفضل جهود الأسقف رايوند وتشجيعه، لذلك بقيت طليطلة المركز الرئيس لحركة الترجمة في الأندلس، رغم وجود مراكز أخرى للترجمة في مدن الأندلس الأخرى مثل برشلونة وشقوبية

(1) د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 671.

(2) لمزيد من التفصيل انظر د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 670 - 671 وما بعدها .

وبنبلونة، وفي مدن أخرى تقع خلف جبال البرينه في فرنسا مثل تولوز
Toulouse ونربونة Narbonne⁽¹⁾.

ويذكر أرتز أن جيرار دو كريموني "ترجم اثنين وتسعين عملاً من
أعمال علماء اليونان والمسلمين عن اللغة العربية مباشرة. ومن أهم
المترجمين أيضاً: روبرت تشستر الإنكليزي Rorbert de Chester الذي
ترجم القرآن في سنة (555هـ / 1160م.)، وكذلك إديلارد الباثي،
وكان من أهم المترجمين في صقلية وإسبانيا، الأندلس، وعمل بالترجمة من
اللغة العربية إلى اللاتينية. أما مايكل سكوت⁽²⁾ فإنه لم يكتف بالترجمة من
اللغة العربية، بل كان أيضاً يعمل تحليلاً وتلخيصاً للأعمال التي يترجمها،
كما سار بعض الباحثين والمترجمين النصارى إلى مدينة قرطبة وغيرها من
المدن الإسلامية، وتحملوا المتاعب وعرضوا حياتهم للخطر في سبيل
الحصول على بعض الكتب العربية وجمع المؤلفات العلمية. ثم تعاون
الباحثون النصارى واليهود معاً، ونقلوا كثيراً من المؤلفات، فكان من بينها
بعض المؤلفات اليونانية، التي لا تخلو من تعليق أو شرح بقلم العلماء
العرب"⁽³⁾.

وقد اشتغل بالترجمة من العربية إلى اللاتينية العديد من المترجمين
ومنهم:

(1) د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 669.

(2) يقال له أيضاً في الكتابات العربية ميخائيل سكوت، أو ميشال سكوت الذي جلب من
طليطلة كتاب "الهيئة" للبطلوجي وكتابي أرسطو "في السماء" و"العالم" وعليهما شروح ابن
رشد. وناهزت أعماله وترجماته العشرين ومعظمها مؤلفات "لابن رشد"، وهو الذي أدخل
أفكار الفيلسوف المسلم العلمية والفلسفية إلى أوروبا - مالك القعقور، أي مساهمة للعرب
في علم الفلك ونظريات العلوم الحديثة، الحياة، ص 21، 24 / 8 / 1995، مقالة عن كتاب "نحو
والعالم"، للكاتب سالم يفوت.

(3) د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 669.

- أوجودي سانتيللا: وكان مختصاً بالنجوم والكيمياء.
 - روبرت أوف تشتر.
 - هومان دالماتا : من كبار المترجمين.
 - دانييل دي مورلي: ترجم العديد من الكتب.
 - أفلاطون دي سيفولي: ترجم كتباً إلى الإيطالية، وقد عاش في برشلونة. وهو الذي ترجم كتاب البتاني في علم الفلك، وترجم النص العربي لكتاب بطليموس، كما ترجم كتاب الجبر لإبراهيم برحيا⁽¹⁾.
- تجدد حركة الترجمة:**

استمرت حركة الترجمة ونشطت من جديد في القرن الرابع عشر الهجري/ القرن العشرين الميلادي وبرع من هؤلاء المترجمين على سبيل المثال لا الحصر أيضاً :

- ف. برونر: ترجم طب العيون للرازي، رسالة دكتوراه، برلين سنة (1318هـ./ 1900م.).
- جرتشيف: طب العيون عند علي بن عباس، مع ترجمة إلى الألمانية، رسالة دكتوراه، برلين سنة (1318هـ./ 1900م.).
- مارسلان برتيلو: (ت. 1325هـ./ 1907م.)، قام بترجمة كتب جابر بن حيان من اللاتينية إلى الفرنسية، وأثبت أن جابر بن حيان يُعرف من الكتب اللاتينية أكثر من الكتب العربية، ويظهر أن ذلك كان لضياح كثير من كتبه.
- يوليوس روسكا: ترجم لأبي بكر الرازي كتاب "سر الأسرار" ومقالات أخرى⁽²⁾.

(1) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 456.

(2) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع نفسه، ص 459.

- رلبر برج : كتاب النبت لأبي حنيفة الدينوري- رسالة دكتوراه في جامعة برسلاو سنة (1326هـ./1908م.).

- سوتر: ترجم سنة (1328 هـ. / 1910م) استخراج الأوتار في الدائرة بخصوص الخط المنحني عند البيروني.

- ي. ل. هيرج: ترجم إلى الألمانية كتاب "المرايا المحرقة بالقطوع" لابن الهيثم سنة (1328هـ./1910م.).

- يوليوس روسكا: ترجم ونشر كتاب "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" للتيفاشي سنة (1330هـ./1912م.) وترجم كتاب "الكيميائيون العرب"، للألمانية سنة (1343هـ./1924م.)، كما ترجم كتب جابر بن حيان ونظر فيها⁽¹⁾.

- باول كراوس: نشر فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي عن مخطوط في ليدن رقم 133 ترجمه إلى الألمانية سنة (1342هـ./1923م.).

- ليفين: نشر كتاب الدينوري عن النبات في السويد سنة (1373 هـ./1953م.)⁽²⁾.

انتشار العربية:

بعد أن تم عرض بعض أعمال الترجمة لا بد من وقفة حول اللغة التي دُوِّنَ بها هذا التراث الزاخر في كافة أنواع العلوم في الأندلس وغيرها من البلاد المفتوحة ولكن ما يهمننا هنا هو انتشار اللغة العربية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، هذه اللغة التي هي لغة التراث الذي ولى مع الأجداد.

فالعربية في الأندلس كانت منتشرة كونها لغة القرآن والحضارة، وقد انتشرت لدرجة أن أهملت اللغات الأوروبية الأخرى من اللاتينية

(1) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع السابق، ص 459-460.

(2) د. توفيق يوسف الواعي، المرجع نفسه، ص 460.

واليونانية التي كانت منتشرة آنذاك، حتى أن الأساقفة ورجال الدين كانوا يكتبون بالعربية على حساب لغاتهم الأصلية، وقد عبّر عن تلك الفترة الفارو أسقف قرطبة حيث قال: "كثيرون من أبناء ديني يقرؤون أشعار العرب وأساطيرهم، ويدرسون ما كتبه علماء الدين وفلاسفة المسلمين، لا ليخرجوا عن دينهم وإنما ليتعلموا كيف يكتبون اللغة العربية مستخدمين الأساليب البلاغية. أين نجد اليوم مسيحياً عادياً يقرأ النصوص المقدسة باللغة اللاتينية؟ من منكم يدرس اليوم الكتاب المقدس أو ما قاله الرسل؟ إن كل الشباب النابه منصرف الآن إلى تعلم اللغة والأدب العربيين، فهم يقرؤون ويدرسون بحماسة باللغة الكتب العربية ويدفعون أموالهم في اقتناء المكتبات ويتحدثون في كل مكان بأن الأدب العربي جدير بالدراسة والاهتمام. وإذا حدثهم أحد عن الكتب المسيحية أجابوه بلا اكتراث: "بأن هذه الكتب تافهة لا تستحق اهتمامهم". يا للهول، لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم ولن تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع كتابة خطاب باللغة اللاتينية. بينما تجد بينهم عدداً كبيراً لا يحصى يتكلم العربية بطلاقة ويقرض الشعر أحسن من العرب أنفسهم" (1).

ولما طغت اللغة العربية في بلاد الأندلس على سائر اللغات المحلية، وكثر دخول المسيحيين في الإسلام وازداد الإقبال على الثقافة الإسلامية، هال الأمر رجال الدين، فنشطوا إلى دراسة اللغة العربية والتراث الإسلامي ليتبينوا من ذلك سبب صرف المسيحيين عن لغتهم وثقافتهم، وكان الغرض من ذلك إجادة اللغة العربية ودراسة التراث الإسلامي مهاجمة للإسلام، والرد عليه، وتحويل الأنظار عنه.

(1) زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 529- وانظر عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص 69 - 70، دار المعارف، ط4، القاهرة- مصر، 1965م..

وأول مدرسة أقيمت في أوروبا للدراسات الشرقية مدرسة طليطلة⁽¹⁾. وقد تولت إنشاءها والإشراف عليها طائفة من الوعاظ. وكان الغرض من الدراسة في هذه المدرسة تخريج عدد من المسيحيين ثقفوا ثقافة عربية إسلامية ليقوموا بالتبشير بين المسلمين.

ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة المستشرقان الإسبانيان ريموند ندلل، وريموند مارتن ويعتبر كلاهما حجة في اللغة العربية والدراسات الشرقية⁽²⁾.

وعندما فكر الفرنسيون في إنشاء جامعة لهم في مونبلييه. نظروا إلى سائر أوروبا ليستعينوا بعلماء يسهمون في هذه الجامعة من الناحية العلمية والأكاديمية. فلم يجدوا أفضل من الأندلس ورجاها⁽³⁾ فاتصلوا بهم وعرضوا

(1) كان من روادها البارزين عدد من الإنكليز أمثال أديلارد أوف بات ودانيال أوف مورلي وروجر أوف هيرفورد واسكندر نكوام - عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 46.

(2) د. طه ندا، المرجع السابق، ص 211- وأضاف د. طه ندا، ص 211-212 قائلاً: "واصل الرهبان بعد ذلك العمل في ميدان الدراسات الشرقية والإسلامية (أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) حين أنشأت فرنسا مدرسة للغات الشرقية في سنة (1210هـ./1795م). وبعد أن كانت دراسة التراث الإسلامي في أول الأمر عملاً ثقافياً خالصاً أصبحت بعد ذلك عملاً دينياً يريد به الأوروبيون مهاجمة الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم وعقائدهم.

ثم جاءت بعد ذلك المرحلة الأخيرة حين أصبح الغرض من هذه الدراسات سياسياً، إذ اتخذت منها الدول الغربية الكبرى سبيلاً لفهم الشرق واستغلاله في تحقيق أطماعها السياسية والاقتصادية.

ومن أقدم الجمعيات التي أنشأها الأوروبيون لهذا الغرض الجمعية الآسيوية في باريس عام (1236هـ./1820م). برئاسة سلفستر دي ساسي، ثم حذا الإنكليز حذو فرنسا وتبعهما بعد ذلك أكثر دول أوروبا. وظهر من المستشرقين عدد كبير من أمثال فريتاغ، وفلوجل، ونولدكه، وبروكلمان من الألمان، وبالمر ومارجليوث، وروس، وكارليل، وبراون من الإنكليز، وجويدي من الإيطاليين، ودي جوية من الهولنديين".

(3) لمزيد من التفصيل انظر نص الكلمة التي ألقاها البروفسور "دلماس" عميد كلية الطب في جامعة مونبلييه في محاضرة ألقاها في قاعة البلدية عن إنشاء الجامعة - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 44.

لهم مشكلتهم فليت الأندلس النداء وأرسلت إلى مونبلييه ثلاثة من كبار الأساتذة المسلمين المشهورين في الطب⁽¹⁾ والعلوم والفلسفة⁽²⁾.

وقام هؤلاء بتنظيم العمل في الجامعة لا سيما كلية الطب مع العلماء الفرنسيين وساهموا في محاضرات ألقوها في الجامعة طيلة ثلاث سنوات. وفي جنوبي إيطاليا وفي مدينة جنوة تحديداً قامت مدرسة لتعليم وتدريس اللغة العربية لغة الحضارة العالمية حينها، وكان ذلك عام (604هـ./1207م.)⁽³⁾.

وفي روما أول من أسس تعليم العربية في هذه المدينة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الفاسي المعروف بليون الأفريقي، كما أن ألبرت دونش اليهودي الفاسي (349هـ./ 960م.) أول من دعا إلى وجوب العناية باللغة العربية والاستعانة بها في فهم "العهد القديم"، وقد أخضع يهود المغرب النحو العبري لكتاب سيبويه وقام داود بن أبراهام الفاسي بوضع قاموس اسمه (أجرون) انطلاقاً من معاجم اللغة العربية⁽⁴⁾. كما أسست في إيطاليا أيضاً مدرسة علمية للطب⁽⁵⁾. وليس أدل على لغة الحضارة من بقاء العديد من الكلمات العربية في اللغات الأوروبية.

(1) درست كتب العلماء المسلمين في الغرب الأوروبي طيلة عدة قرون. وعلى سبيل المثال ترجم كتاب "القانون" في الطب لابن سينا في القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)، كما ترجم كتاب "الحاوي" للرازي وهو أوسع من القانون وأضخم في (نهاية القرن السابع الهجري/نهاية القرن الثالث عشر الميلادي)، وظل هذان الكتابان عمدة لتدريس الطب في الجامعات الأوروبية حتى القرن (العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي). أما كتب الفلسفة فقد استمرت أكثر من ذلك، ولم يعرف الغرب فلسفة اليونان إلا عن طريق المؤلفات والترجمات العربية - د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 40.

(2) د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 50.

(3) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 48.

(4) عبد العزيز بن عبد الله، الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، مجلة الدارة، السنة 5، العدد 3، ص 75، الرياض - السعودية، ربيع ثان 1400هـ./ مارس 1980م..

(5) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع نفسه، ص 50.

أثر اللغة العربية في اللغات الأوروبية:

"حينما يستعير شعب من شعب أداة أو فكرة أو مدركاً فلسفياً فإنه يستعير مع الأداة اسمها أيضاً. نحن العرب لما أخذنا الأداة المسماة بالفرنجية تلفون أخذنا اسمها الأجنبي معها. ولقد سمينا هذه الآلة فيما بعد، الهاتف. ولكن كلمة تلفون لا تزال غالبة. وبعد الحرب العالمية الأولى جاءت السيّارة إلى بلادنا فكان كل إنسان يقول: "أوتوموبيل"، ثم اختفت كلمة أوتوموبيل وسادت كلمة "السيارة". وكذلك فعل الأوروبيون لما أخذوا المدارك العلمية والأدوات المختلفة من العرب فإنهم نقلوها بأسمائها العربية. أخذوا من العرب مثلاً قيادة السفن، وكان قائد العمارة البحرية يسمى "أمير الماء" فاختصر الأوروبيون ذلك قليلاً فقال الفرنسيون: "أميرال" وقال الإنكليز "أدميرال". ولم يعرفوا العَوَل أو الكحول (جمع كحل) فقال الإنكليز: "ألفوهول"، وقال الفرنسيون: "القوقول". ولم يعرفوا المشمش وهو يسمى في مصر البرقوق فأخذه مع اسمه فقال الإنكليز القدماء: أبرقوق (بباء فارسية) ثم خففوها فقالوا أبرقُت (بضم القاف) وقال الإفرنسيون أبرقو"⁽¹⁾.

أما كلمة سكر مثلاً فقد أخذها العرب عن الفرس "واسمه الفارسي شكر. ولكن الأوروبيين لم يأخذوا السكر من الفرس بل من العرب فكان اسمه في الفرنسية سُوكَر وفي الإنكليزية شوكر وفي الألمانية تُسوكَر، وفي الإسبانية آثوكر وفي البرتغالية أسسوكر وفي الروسية ساخر وفي البولونية سوكيار وفي الدنمركية سوكر وفي الهولندية سُوِيكر"⁽²⁾.

(1) د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 17.

(2) د. عمر فروخ، المرجع نفسه، ص 17.

و"صوفا" هي من اللغة العربية (الصُّفَّة). وأول ما ورد لفظ "الصُّفَّة" من مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة: وهي عبارة عن مقعد مستطيل مرتفع (ارتفاعه حوالي نصف متر) يجلس عليه عدد من الناس.

ثم هنالك كلمة "ديفان" وهي (ديوان بالعربية - من أصل فارسي) والأوروبيون قد تناولوا هذه الكلمة من العرب، علماً بأن العرب يطلقون هذه الكلمة على عدة أشياء منها: المقعد المستطيل المرتفع، وعلى الدائرة الحكومية، وعلى كتاب الأشعار⁽¹⁾.

هذا، وقد دخلت اللغة الإسبانية مفردات كثيرة عربية حرّف بعضها، وبقي البعض الآخر على حاله، والملفت للنظر أنهم كثيراً ما ظنّوا أن أداة التعريف هي من أصل الكلمة فأدخلوها في كلماتهم فمثلاً هناك كلمة الأُرُزَّ elarroz، وكلمة القبة alcoba، وكلمة القطن algodón، والديوان (الجمرك) aduana، والقاضي alcalde، والمخزن almacén... إلخ.

وهناك مجموعة من الألفاظ الفارسية تسربت هي الأخرى إلى اللغات الأوروبية ككلمة بازار Bazar (أي سوق)، وكلمة ياسمين Jasmin، وبيجامة Pyjama، كاروان Caravan، بخشيش Bakhshish أي عطاء وهبة، وكلمة كشك Kiosk التي تعني الدكان، ونارنك⁽²⁾ Orange وبالإسبانية، وشك Cheque وهو السند المصري⁽³⁾.

"ويذكر ترند في مقالته بتراث الإسلام عن إسبانيا والبرتغال أن العلماء المختصين قد أبدوا عدداً من الملاحظات الجديرة بالنظر والتأمل، فقد لاحظوا أن أسماء الأمكنة، والأعلام الجغرافية، والألفاظ المستخدمة

(1) د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 19.

(2) النارنك: ربما كانت النارنج وهي التي تعني الليمون عند البعض.

(3) د. طه ندا، المرجع السابق، ص 212-213.

في الري والزراعة يرجع الكثير منها إلى أصل عربي. وهذا يدل على تغلغل الحضارة العربية إلى جميع مجالات الحياة. ويورد الأمثلة الآتية:

فكلمة جبل العربية تسبق أسماء الجبال مثل جبل كوز Monte jabelcuz، وجبل كون Jabalcon، وهناك جبال جبرالبين Gibralbin، وجبراليون Gibraleon، وجبرالتار (جبل طارق).

وتظهر كلمة الكورة alcor، alcora في كثير من أسماء القرى. وهي بالعربية الكورة بمعنى المحلة أو القرية.

وما يتصل بالأعلام الجغرافية كلمة "واد" التي تكتب في الإسبانية guad. ومن أمثلة ذلك (الوادي الكبير Guadalquivir، وادي الحجارة Guadalajara، وادي القصر Guadalcazar، وادي القطن Guadalcoton).

واحتفظت المسطحات المائية عندهم بأسمائها العربية؛ فالبحيرة عندهم albuera - albuhera، والبركة تسمى alberca.

وانتشرت في ألفاظهم لفظة مدينة العربية فهناك مثلاً Medina de pomar, medina del campo.

واحتلت لفظة المسجد مكانها في اللغة الإسبانية، وأصبحت Mesquita.

وكثرت الأعلام الجغرافية التي قامت على لفظة القلعة Alcala مثل Calatayud أي قلعة أيوب، Calatanzor أي قلعة الناصر، Calatrava أي قلعة رباح.

وكذلك انتشرت لفظة القصر Alcazar.

هذه الألفاظ الكثيرة التي لا تزال باقية في اللغة الإسبانية إلى اليوم تشهد على تأثير اللغة العربية والحضارة الإسلامية في إسبانيا وفي أوروبا،

لأن العواصم الإسلامية في إسبانيا كانت مركز الإشعاع الذي يجذب إليه طلاب العلوم والآداب والفنون من أنحاء أوروبا. ولما سقطت إسبانيا الإسلامية كان تأثيرها الحضاري قد انتقل إلى أوروبا⁽¹⁾.

كلمات عربية في لغات أوروبية في مجال الملاحة والفلك:

بقي أثر علوم المسلمين الملاحية واضحاً في أوروبا عبر تلك الكلمات التي لا تزال محفوظة في لغات الأوروبيين بما يشبه حروفها العربية مثل Tare من طرح السفينة، و Felouque من الفلك، Calfata من القلفطة⁽²⁾، و Amiral من أمير البحر، و Arsenal من دار الصناعة Risk بمعنى المغامرة في طلب المعاش من كلمة رزق، و Avala من كلمة حوالة، و Avaare من كلمة عوار، وكلمة Wissil الألمانية من كلمة وصل، و Calibre من كلمة قالب. وغير ذلك كثير ولاسيما في كلام أهل الأندلس والبرتغال⁽³⁾.

وفي مجال الفلك فإن الأسماء العربية باقية بلفظها في المعجمات الفلكية الأوروبية سواء في أسماء الكواكب والنجوم أو أسماء المدارات والمصطلحات، ومن مئآت هذه المفردات نذكر على سبيل المثال لا الحصر كلمة الطرف Altaref، وكروسي الجوزاء Cursa، والكف Caph، والأرنب Armab، والعرقوب Arkab، والسمت Azimuth، والبطين Botein، وزباني العقرب Zuben Hakrabi، والنسر الواقع Wega، والساهور Saros، والسيف Saif، و صدر الدجاجة Sadr، والزورق Zaurek، و قرن الثور Tauri، الراعي Errai، والذنب Denob... إلخ⁽⁴⁾.

(1) د. طه ندا، المرجع السابق، ص 212 - 214.

(2) القلفطة: دهن السفن بالقار (الزفت).

(3) عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 59.

(4) عباس محمود العقاد، المرجع نفسه، ص 61.

كما تناولت الكاتبة الألمانية زيغريد هونكة أثر اللغة العربية في اللغة الألمانية عبر بعض الكلمات مثل: "فندق Fondaco، ومخزن Magazin، وترسانة أو مخزن عسكري Arsenal، وديوان Duane، وجباية Gabelle، والعواري بمعنى عطل في بضائع المراكب Havarie، وقابل سلك أو جبل سميك Kabel، ومخاطرة Mohantra، و Risiko بمعنى مغامرة، و Scheck أي صك، و Sterling استرليني، و Tara بمعنى طرحة، و Tarif بمعنى تعريف وغيرها"⁽¹⁾.

ويذكر جاك ريسلر أثر اللغة العربية في اللغة الفرنسية بقوله: "في الوقت الذي كانت أوروبا تستورد فيه المنتجات الإسلامية، كانت في أغلب الأحيان تتبنى الكلمات التي تدل عليها. وهكذا دخلت في المصطلح الفرنسي كلمات: سكر، شراب، شورية، كحول، القالي، الجلاب، الإكسير، البرتقال، الجرة، المخدة، الصوفا، الجوت، الأثير، الفن العربي Arabesque. وكلمات أخرى مقترضة من اللغة العلمية: الجبر، الصفرة، السم، الإنبيق، المناخ؛ أو من الموسيقى: عود، ربابة، طبلية، مزمار، طبل؛ ومصطلحات بحرية: أمير البحر، دار الصناعة، حبل Cabl، شالوب (زورق إنقاذ)، قارب، مركب شراعي (سلوب)؛ أو كلمات تدل على الأقمشة: موصل، ساتان، تفتا؛ ومصطلحات تجارية: بازار، تعرف، مخزن، ريسك، شيك، دوان (جمرك)؛ وأخيراً كلمة، ربما تدهش، بقاؤها مضمون على بقاء اللغة الفرنسية، "السيد" الآتية مباشرة من كلمة سيدي"⁽²⁾.

هذا، وقد امتد أثر المصطلحات العربية حتى إلى الفنون ومنها على سبيل المثال لا الحصر في الموسيقى الهندية :

(1) زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 445.

(2) جاك ريسلر، الحضارة العربية، ص 191 - 192، تعريب د. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، سلسلة عام 2000، بيروت - لبنان/ باريس - فرنسا، 1993م..

"Qanoon قانون: الآلة الموسيقية المعروفة، إلا أنه في الهند يشبه الطنبورة ذو شكل منبسط ويشبه الرباب أيضاً.

- Qawal قوالي: قول، غناء، نوع من المبالاة الموسيقية ذو مقاطع شعرية، تصاحبه تصفيقات إيقاعية"⁽¹⁾.

- "Rababi ربابي: عازف الربابة، الشخص الذي يعزف على الربابة مصاحباً للأغنية، وهي من تقاليد السيخ.

- Soofiyana Kalam صوفيانا كلام: كلام الصوفية، غناء المتصوفة، وهي موسيقى تعبدية تقليدية منتشرة في إقليم كشمير.

- Tabla طبلة: هي الطبل ذو القطعتين المعروف في شمالي الهند.

- Tambura طنبورة أو طنبورة: آلة موسيقية مدندنة، ذات أربعة أوتار تعزف القرار ونعمته الجوابية والنغمة المؤكدة"⁽²⁾.

- "Tarab طرب: الأوتار الرنانة في الآلات الموسيقية.

- Ustad أوستاد: وهي نفسها كلمة أستاذ العربية وتدل هنا على الموسيقي المتمكن أو أستاذ في الموسيقى"⁽³⁾.

حول التعليم والمكانة العلمية:

كان التعليم في الأندلس شاملاً لكل ألوان العلوم ولكافة المستويات ذكوراً وإناثاً، ولم تحرم حتى القرى من نصيبها في التعليم. وكان للعلم والعلماء المكانة العالية، وإليهم كان يسعى الحكام والمسؤولون لا العكس"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ لمزيد من التفصيل انظر لطفي خوري، ألفاظ عربية في المصطلحات الموسيقية الهندية، مجلة التراث الشعبي، السنة 10، العدد 18، ص 126-127، بغداد- العراق، 1979م..

⁽²⁾ لطفي خوري، المرجع السابق، ص 127.

⁽³⁾ لطفي خوري، المرجع نفسه، ص 128.

⁽⁴⁾ د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 50.

ولقد تمتعت المرأة المسلمة بمكانة عالية فقد خرجت نساء الأندلس بنشاطهن إلى الحياة العامة، سواء في ذلك سيدات المجتمع الراقي أو بنات الطبقات الفقيرة والجاريات. فكان منهن الشاعرات والباحثات في العلوم، وتلقين العلم تماماً كالرجال. وسجل لهن تاريخ الأندلس صفحات من المجد فكانت هند تقرض الشعر وتعزف على العود وتغني بصوت شجي. وسائر القوم يتغنون بأشعار حفصة وقصة حبها للشاعر أبي جعفر.

ويحكي أعرابي عن الشاعرة ولادة فيقول: "لقد كانت سيدة نساء عصرها. فسلوكلها واحتقارها للحجاب برهنا على شخصيتها القوية⁽¹⁾. وكان ذلك وسيلة برهنت بها على طيب عنصرها وأظهرت بها جمال وجهها وأخلاقها. وكان منزلها في قرطبة ملتقى عليّة القوم في العاصمة، وكان صالونها حلبة سباق يتبارى فيها الأدباء والشعراء. واتجه العلماء بأنظارهم إلى منزلها كما يهتدي السائر ليلاً بالنجوم. وتسابق كبار الأدباء والشعراء على تلمس رضاها"⁽²⁾.

فإذا كان هذا حال الشعر والشاعرات فإن الأمر ليس كله على المنوال نفسه عند الجميع. بل تميز العلماء بالرصانة والوقار، وكانت لهم أسماء لامعة في ميدان العلم والعلماء، كابن عبد ربه، وابن حزم الذي يعتبر، إضافة إلى ذلك، من خير وأوائل من اعتنى بدراسة الأديان والمقارنة بينها فهو مؤسس الدراسات المقارنة. وهذا ابن زيدون وحمدة (حمدونة) ونزهون والمُعتمد وابن الخطيب وآخرون وأخريات كثيرون جداً لمعت أسماءهم في سماء الأندلس ولكن ضاع إنتاجهم الفكري ولم يبق عند

(1) هل تكون المرأة سيدة نساء عصرها إذا ما سلكت سلوكاً مشيناً واحتقرت الحجاب مثلاً؟

أم يكون الأمر بالتعلق بالفضيلة التي تمثل مثلاً يحتذى به؟!

(2) زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 522.

البعض إلا أسماء فقط، مع أن البعض وُصف بالمكانة العالية في الأدب، غير أنه لم يصل إلينا من إنتاجهم إلا القليل⁽¹⁾.

الأدب العربي ودخوله في الأدب الأوروبي:

إن الأدب العربي كان له أثر ووقع في الأدب الأوروبي، وقد دخل أدب الفروسية والحماسة والمجاز والتخييلات الراقية البديعة إلى الآداب الغربية عن طريق الأدب العربي في الأندلس على الخصوص.

وفي هذا يقول الكاتب الإسباني المشهور أباينز: "إن أوروبا لم تكن تعرف الفروسية ولا تدين بآدابها المرعية ولا نَحْوَهَا الحماسية قبل وفود العرب إلى الأندلس وانتشار فرسانهم وأبطالهم في أقطار الجنوب"⁽²⁾.

والشعر الأوروبي قبل اتصال الأوروبيين بالعرب كان قاصراً جداً، ولدى وصول الحضارة الإسلامية إلى أوروبا كان هناك أثر كبير لهذه الحضارة على كافة المستويات.

وفي ميدان الشعر رأى الأوروبيون عند العرب أوزاناً كثيرة ثم رأوا الموشحة أيضاً، وهي مقطوعة من الشعر تترج فيها أوزان متعددة وقوافي متنوعة، فأحبوا هذا التوشيح وأخذوه عن العرب ونظموا عليه "الصَّوَيْت"⁽³⁾.

وكان مؤرخو الآداب الأوروبية قد حاروا زمناً طويلاً في مصدر هذا النوع من الشعر حتى نشأت النظرية العربية⁽⁴⁾. "وأجمع كبار مؤرخي

(1) د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 37.

(2) د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 42.

(3) الصَّوَيْت: تصغير لكلمة صوت، أو الصوت القصير. والصوت في اللغة العربية مقطوعة قصيرة تُغنى، واسمها في الفرنسية "سونت".

(4) د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 23.

الأدب والدارسين في الفرنسية والألمانية والإيطالية على أن أدهم الجديد الذي برز في كل مكان زهرة غربية في رياض الأدب إنما جاء من تقليد الشعر العربي. ويبدو أن الأدب الإنكليزي لم يتأثر مباشرة بالشعر العربي، بل بالشعر الإيطالي الذي كان قد تأثر بالشعر العربي.

هذا، واحتك الإفرنج بالعرب في الأندلس، ثم في المشرق في أثناء الحروب الصليبية، فعرفوا الموشح والزجل فنقلوا أوزانهما إلى آدابهم. فشعراء التروبادور⁽¹⁾ في جنوبي فرنسا نقلوا من الموشحات الأندلسية ومن الأزجال المشرقية والمغربية. وبذلك خرج الشعر الأوروبي عن وتيرته الأولى وأصبح شاعرهم ينظم مُقطّعات مختلفة الأبحر متعددة القوافي سُمّي بعضها سونت أو سوّنة. ودخل كثير من أغراض الشعر العربي ومعانيه وألفاظه في الشعر الأجنبي⁽²⁾.

وحول تأثير الشعر العربي في اللغات اللاتينية قالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة ما نصه: "سيطر هذا الطابع العربي المميز في العالم وطفى على الطابع الإغريقي واللاتيني والجرماني. وبرغم أن اللغات الجرمانية، خاصة الألمانية، يصعب استخدامها في القافية فقد اتخذت الطابع العربي طابعاً لها ونبذت الأصول الجرمانية والإغريقية حتى صارت غريبة علينا اليوم"⁽³⁾.

وأضافت: "وأثر طابع الشعر العربي على إيطالية تأثيراً أكبر ونشاهد ذلك واضحاً في أشعار فرنسيس الأسيزي Franz Von Assisi ودانتي Dantes، وفرا جاكابانا دا تودي Fra Jacapane da Todì وحتى لورنزو دي مديتششي Lorenzo de Medici، ومكيافيللي Machiavelli، قد نظموا على

(1) التروبادور: دور الطرب.

(2) د. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 23 .

(3) زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 508 .

أسس لأوزان العربية. كما بقي ذلك الأثر العربي أوضح ما يكون في صقلية وتوسكانا Toscana والبندقية⁽¹⁾. وكذلك تظهر صور "الحب الرقيق" في الأدب الفرنسي المرئية في الأدب العربي والذي بسط قواعده ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة في الإلفة والألف" الذي ترجم إلى عدة لغات أوروبية.

وكذلك هناك "دور الطرب" التي حولت لتصبح كلمة "تروبادور" والتي تحمل معنى "الشعر الشعبي المغنى" والذي تفشى في أوروبا والمأخوذ بتقاليده عن الأندلس بكل ما يمثل من تذلل وخضوع للحبيب⁽²⁾.

وكما كان للشعر العربي أثره في اللغات اللاتينية كذلك كان للنثر والقصص؛ وهذا المستشرق كوبرلر يونج يحدثننا عن ذلك فيقول: "فإن الدّين الذي تدين به أوروبا العصور الوسطى لأدب النثر العربي لا جدال فيه، وإن كانت تفاصيله لم تدرس بعد، فهناك أحداث من القصص الشرقية توجد في الأدب الشعبي لكل من ألمانيا وفرنسا وكذلك الشأن في Decamerone من أعمال "بو كاشيو"، وفي Squieves ta Les من أعمال "تشوسر"، وقد انتشرت في جميع أنحاء أوروبا القصص العربية التهذيبية الموضوعية على ألسنة الحيوان والطير، كما ترجمت الصورة العربية من كتاب السندباد، وهو في الأصل بالسنسكريتية، إلى اللغات السريانية، واليونانية، والعبرية، والإسبانية، واللاتينية والإنكليزية⁽³⁾.

وقد ظهرت قصص كليلة ودمنة العربية، وأصلها من السنسكريتية كذلك، في أثواب متعددة في مختلف أنحاء أوروبا. ويندر في الكتابة النثرية الأولى في الأدب الإسباني ما لا يستمد من مواد عربية. والأدب الإسباني

(1) زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص 510.

(2) د. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 40.

(3) كوبرلر يونج، المرجع السابق، ص 54 - 55.

ذاته، وقد أثر على سائر أوروبا، متأثراً كثيراً بروح الثقافة الأندلسية، فقد ازدهرت في تلك البلاد القصص "المورسكية" التي مزجت بين الثقافة العربية (المورية) والثقافة الإسبانية، وكانت بدءاً للرواية الحديثة، وإن أريج الثقافة الأندلسية ليعبق على صفحات الكاتب "سرفاتيس"⁽¹⁾.

كما تأثر دانتي الشاعر الإيطالي "بكتب محيي الدين بن عربي وبقصة المعراج، فتصوره للحجيم والجنة في رائعته الكوميديا الإلهية، يشابه تشابهاً تطابقاً في بعض الأحيان، ما جاء في قصة المعراج مع تفصيلاته الدقيقة"⁽²⁾.

أما الطبيب والفيلسوف ابن طفيل الإشبيلي، أستاذ ابن رشد، فقد وضع قصته الفلسفية (حيّ ابن يقظان) التي استعار اسم بطلها، من رسالة رمزية صوفية لابن سينا. فقد تخيل ابن طفيل أن حيّ ابن يقظان هذا هو صبي يتيم، "ترك ليعيش وحده في جزيرة منعزلة، فاستطاع بواسطة التأمل، أن يقوده تفكيره إلى وجود الخالق، كما اكتشف بطريق الاتصال بالطبيعة الأسس الضرورية لقوانين هذه الطبيعة. وقد ترجمت هذه الرسالة إلى مختلف اللغات وحازت إعجاب المفكرين. وقد أوحى هذه القصة إلى ديفو بقصة روبنسون كروزو الشبيهة بها"⁽³⁾.

وفي سنة (750هـ. / 1349م.) كتب بوكاشيو حكاياته المسماة "بالصباحات العشرة" وهي تحذو حذو ألف ليلة وليلة، ومنها اقتبس شكسبير موضوع مسرحيته "العبرة بالخواتيم"⁽⁴⁾.

(1) كوبلر يونج، المرجع السابق، ص 55.

(2) يؤكد كثير من النقاد أن دانتي كان في كتابته "القصة الإلهية" التي يصف فيها رحلته إلى العالم الآخر متأثراً برسالة الغفران للمعري ووصف الجنة لابن عربي، ذلك أنه سكن جزيرة صقلية في عهد الأمبراطور "فريدريك الثاني" الذي كان مولعاً بالثقافة الإسلامية ودراساتها في مصادرها العربية، وقد دارت بينه وبين دانتي مساجلات في مذهب أرسطو كان بعضها مستمداً من الأصل العربي - د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 44.

(3) راشد الكيالي، المرجع السابق، ص 105.

(4) د. مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 43.

هذا، ولم يقف أثر الحضارة الإسلامية على الأدب بل شمل عدة ميادين أخرى منها ميدان الفلسفة. كـ "كتاب أطوار العالم الذي يُعَدّ من أقدم وأهم الكتب الفلسفية النصرانية المتأثرة بالفلسفة الإسلامية. ثم صُنّف دومنجو جونثالبو كتاباً بعنوان خلود النفس De Immortalitate Animae، فاعتمد في تأليفه على بعض آراء استقاها من ابن سينا، ومن ابن جبرول Ibn Gabiroll المتأثر بمذهب وآراء ابن مسرة القرطبي"⁽¹⁾. ومن كتبه كتاب بعنوان: "فروع الفلسفة De Divissione Philosophiae وهو كتاب تصنيف للعلوم يقفو أثر كتاب إحصاء العلوم للفارابي. وقد أثبت باور Power أثر كتاب إحصاء العلوم للفارابي على فلاسفة اللاتين عموماً وعلى دومنجو جونثالبو خصوصاً. كما ذهب موريس إلى أن كتاب دومنجو جونثالبو الذي يحمل عنوان فروع الفلسفة منقول عن كتاب الفارابي مع شيء من التصرف والزيادة من كتب أخرى لابن سينا"⁽²⁾.

ولم يقتصر أثر الحضارة الإسلامية على هذه الشؤون التي ذكرت بل امتدت لتشمل نظام التشريع الذي أصبح نواة القوانين الوضعية الفرنسية فيما بعد. "فقد كان لاتصال الطلاب الغربيين بالمدارس الإسلامية في الأندلس وغيرها أثر كبير في نقل مجموعة من الأحكام الفقهية والتشريعية إلى لغاتهم، ولم تكن أوروبا في ذلك الحين على نظام متقن ولا قوانين عادلة. حتى إذا كان عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية، ومن أوائل هذه الكتب "كتاب خليل" الذي كان نواة القانون المدني الفرنسي. وقد جاء متشاهماً إلى حد كبير مع أحكام الفقه المالكي، يقول العلامة سيديو: "والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا على الخصوص لما لنا من الصلات بعرب أفريقيا، وعهدت الحكومة

(1) د. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 680.

(2) د. هشام أبو رميلة، المرجع نفسه، ص 680 .

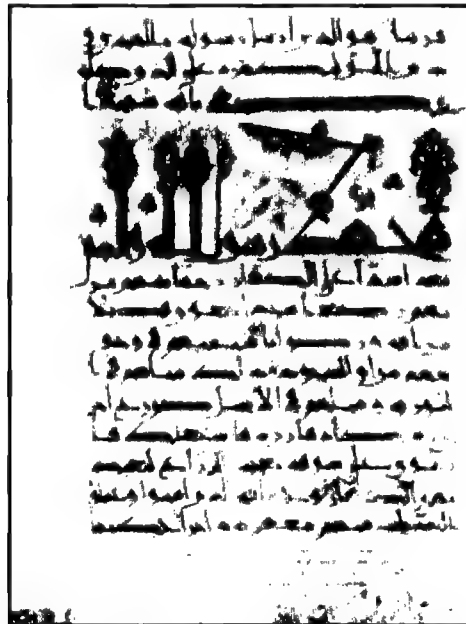
الفرنسية إلى الدكتور بيرون في أن يترجم إلى الفرنسية كتاب (المختصر في الفقه) للخليل بن إسحاق بن يعقوب (ت. 825هـ. / 1422م.)⁽¹⁾.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل امتد ليشمل العلوم والمفاهيم الإسلامية التي كانت المنطلق لأوروبا لا إلى التقدم العلمي فحسب، ولكن أيضاً إلى التغيرات السياسية والاجتماعية التي حدثت هناك، والتي تلت ذلك.

⁽¹⁾ د. مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 45.

ملحق الصور

شكل (1) صفحة من مصحف كتبت بالخط الكوفي



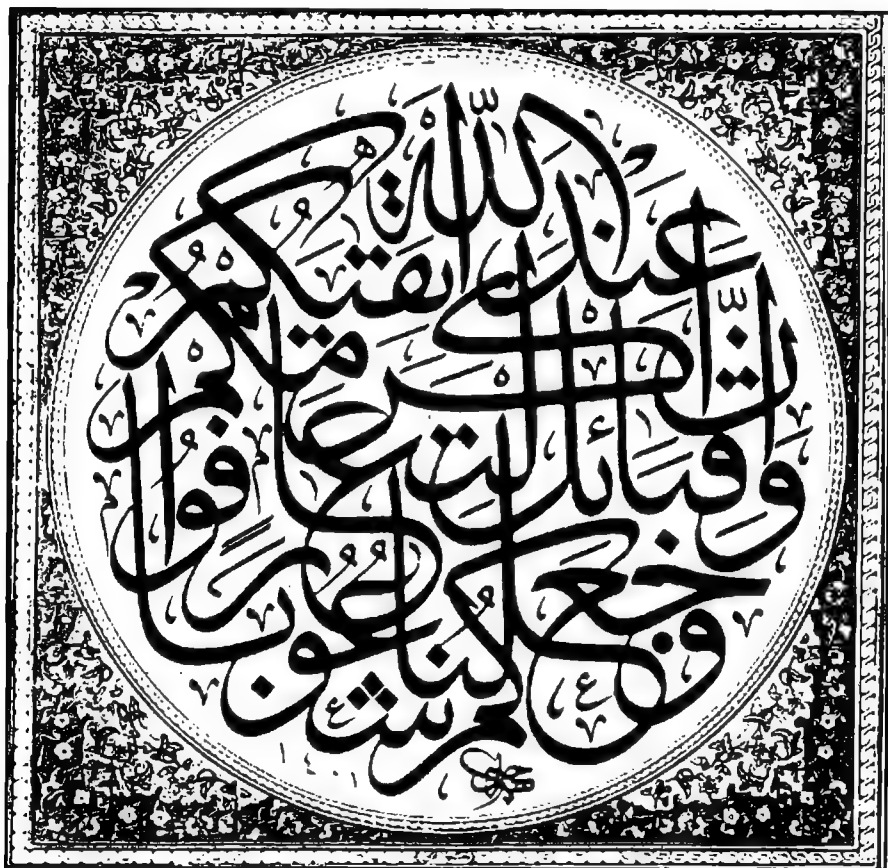
د. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص 400.

شكل (2) نص لشاهد قبر بالخط الكوفي الصقلي - القرن الخامس الهجري.



د. عبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوبي إيطاليا، ص 49.

شكل (3) «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»
(الحجرات/13) بخط الثلث.



كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ج 6، ص 18.

شكل (4) «ن والقلم وما يسطرون» (القلم/1) بخط الثلث المتراكب.



كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ج 6، ص 20.

شكل (5) «وما توفيقى إلا بالله» (هود/88) بخط الثلث المتراكب المتناظر.



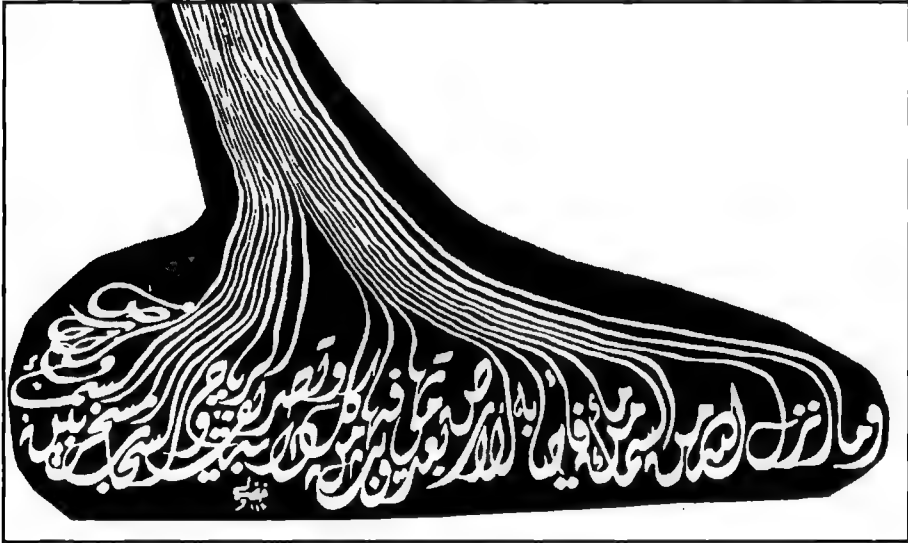
كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ج 6، ص 259.

شكل (6) لوحة قرآنية بخط الثلث المتأثر بالرسم.



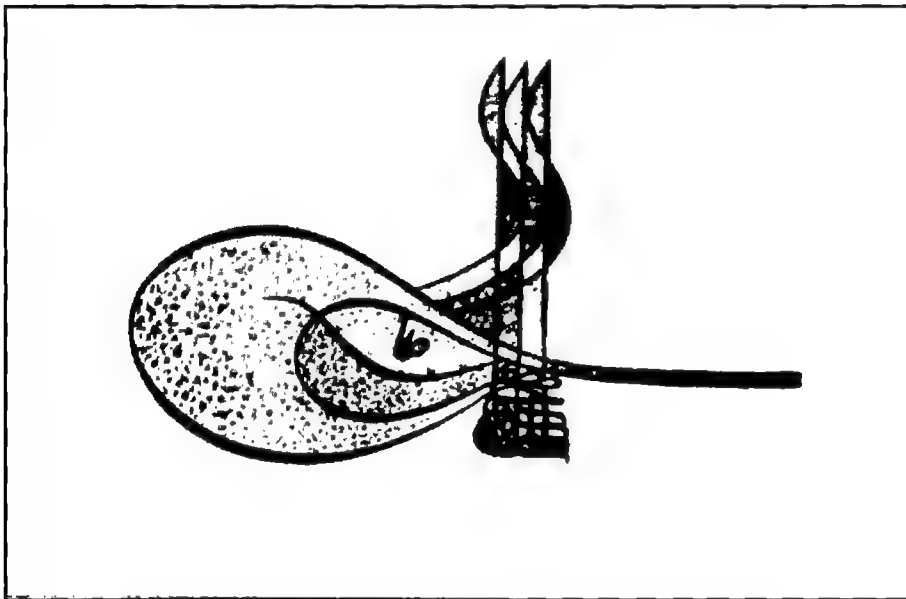
د. فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، م 11، شكل (28).

شكل (7) لوحة قرآنية بالخط الديواني على هيئة مطر يهطل فتحيًا به الأرض -
 «وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد
 موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخر بين السماء والأرض»، (البقرة/164).



كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، ص 158.

شكل (8) طغراء مذهبية لفرمان السلطان سليمان القانوني.



د. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص 404.

شكل (9) فقهاء يتبادلون الآراء في أحد المساجد (894 هـ./ 1489 م.).



د. زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، ج 3، ص 193.

شكل (10) رسم توضيحي يمثل مناقشات ودروس داخل أحد المساجد.



محمود النبوي الشال، د. مها محمود النبوي الشال،
الفنون التشكيلية في الحضارة الإسلامية القديمة.

شكل (11) حلقة علمية - من مخطوط خواص العقاقير (622 هـ./1229 م.).



د. زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، ص 364.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة- مصر، 1956م..
- 2- ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ل. ت..
- 3- ابن خلكان (أحمد بن محمد ت. 681هـ.)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت- لبنان، 1978م..
- 4- ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة- مصر، 1934م..
- 5- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت. 463هـ.)، الاستيعاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت- لبنان، 1412هـ..
- 6- ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت. 774هـ.)، تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1401هـ..
- 7- ابن مسكويه (أحمد بن محمد ت. 421هـ.)، تجارب الأمم، أمبروز، القاهرة- مصر، ل. ت..
- 8- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر- دار بيروت، بيروت - لبنان، 1388هـ. / 1968م..
- 9- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق)، كتاب الفهرست، تحقيق رضا، تحديد ابن علي زين الدين العابدين الحائري المازندراني، دار المسيرة، ط3، بيروت- لبنان، 1988م..
- 10- أحمد أبو حاق، إيليا حاوي، جوزيف الياس، أحمد أبو سعد، المفيد في الأدب العربي، دار العذ للملايين، بيروت- لبنان، 1999م..

- 11- أحمد عبد الله سرحان، حرفنا العربي وأعلامه العظام عبر التاريخ، الحقيقة برس، بيروت - لبنان، 1988م..
- 12- د. أحمد محمد عوف، الأزهر في ألف عام، عدد خاص بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر الشريف، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثالثة عشر- الكتاب الثاني، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة- مصر، 1402هـ./1982م..
- 13- إقليميس داود، اللغة الشائعة في سورية قبل الهجرة، مجلة المشرق، م1، بيروت- لبنان، 1898م..
- 14- د. أيمن فؤاد سيد، مناهج العلماء المسلمين في البحث من خلال المخطوطات، مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة - مصر، رجب 1420هـ./ نوفمبر 1999م..
- 15- بايارد دودج، التربية الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة د. سامي خماس الصقار، مجلة الدارة، السنة 13، العدد 1، الرياض- السعودية، شوال 1407هـ./ يونيو 1987م..
- 16- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط3، بيروت- لبنان، 1407هـ./ 1987م..
- 17- بديع الزمان الهمذاني، ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 1407هـ./ 1987م..
- 18- الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ت. 279هـ.)، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ل.ت..
- 19- د. توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة "بالحضارة الغربية"، دار الوفاء، ط1، المنصورة- مصر، 1408هـ./ 1988م..
- 20- الجاحظ (عمرو بن بحر)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت - لبنان، 1416هـ. / 1996م..
- 21- جاك ريسلر، الحضارة العربية، تعريب د. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، سلسلة عام 2000، بيروت- لبنان/ باريس- فرنسا، 1993م..

- 22- جميل نخلة المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة- مصر، 1935م..
- 23- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله، 1017 - 1067هـ.)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413هـ. / 1992م..
- 24- د. حسن الباشا، أصول الحضارة الإسلامية، الدارة، العدد 1، ربيع الأول 1395هـ. / مارس 1975م..
- 25- الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء- المغرب، 1406هـ. / 1986م..
- 26- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستشرقين والمستعربين، دار العلم للملايين، ط10، بيروت - لبنان، 1992م..
- 27- الدينوري (عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت. سنة 276هـ.)، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية/ الهيئة العامة للكتاب، ط1، القاهرة- مصر/ بيروت- لبنان، 1348هـ. / 1930م..
- 28- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت. 748هـ.)، سير أعلام النبلاء، تحقيق الأبياري، وقرئ على د. طه حسين، يخرج معده المحفوظات بجامعة الدول العربية بالإشتراك مع دار المعارف، ذخائر العرب (9)، القاهرة- مصر، ل.ت..
- 29- راشد الكيلاني، التعاون الثقافي الإسباني العربي، مجلة التراث العربي، السنة 8، العدد 32، إتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، ذي القعدة 1408هـ. / تموز يوليو 1988م..
- 30- د. زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، سلسلة الأعمال الكاملة، ج3، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، 1401هـ. / 1981م..
- 31- الزهري (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ت. 230هـ.)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت- لبنان، ل. ت..

32- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبا، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت- لبنان، 1964م..

33- سعيد زايد، الخوارزمي والمصطلح العلمي في كتابه مفاتيح العلوم، الدارة، العدد1، السنة 6، الرياض- السعودية، شوال 1400هـ./ سبتمبر 1980م..

34- سيبويه، كتاب سيبويه (علم الأعلام إمام كل إمام، مالك أزمة الأدب وملك علوم العرب أبي بشر عمرو الملقب سيبويه)، وبهامشه تقارير وزيد من شرح أبي سعيد السيرافي، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، بولاق - مصر المحمية سنة 1316هـ..

35- د. سيد وقار أحمد حسيني، الفكر الإسلامي في تطوير مصادر المياه والطاقة، تقديم د. محمود عكام، ترجمة سمية زكريا زيتوني، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط1، حلب- سورية، 1998م..

36- شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، القسم الثاني، ترجمة د. حسين مؤنس وإحسان صدقي العمدة، مراجعة د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت- الكويت، ذو القعدة/ ذو الحجة 1398هـ./ نوفمبر (تشرين الثاني) 1978م..

37- د. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية 19، دار المعارف، ط6، القاهرة - مصر، 1971م..

38- الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت. 360هـ.)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق ابن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة- مصر، 1415هـ..

39- الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت. 360هـ.)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي ابن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، الموصل- العراق، 1404هـ./ 1983م..

- 40 - د. طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 1973م..
- 41 - عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط4، القاهرة - مصر، 1965م..
- 42 - عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني، الحضارة الإسلامية، دار القلم، ط1، دمشق - سورية، 1418هـ. / 1998م..
- 43 - د. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان / دار الفكر، دمشق - سورية، ط1، 1416هـ. / 1995م..
- 44 - د. عبد الرحمن علي الحجي، الحضارة الإسلامية في الأندلس (أسسها، ميادينها، وتأثيرها على الحضارة الأوروبية)، دار الإرشاد، بيروت - لبنان، 1969م..
- 45 - عبد العزيز بن عبد الله، الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، مجلة الدارة، السنة 5، العدد 3، الرياض - السعودية، ربيع ثان 1400هـ. / مارس 1980م..
- 46 - عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت. 656هـ.)، الترغيب والترهيب، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 1417هـ..
- 47 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة - مصر، 1415هـ. - 1995م..
- 48 - عبد اللطيف أرناؤوط، الحسن بن الهيثم (354 - 430هـ.)، مجلة التراث العربي، السنة 13، العدد 53، دمشق - سورية، جمادي الأولى 1414هـ. / تشرين الأول (أكتوبر) 1993م..
- 49 - د. عبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا، ط1، تهامة - جدة، المملكة العربية السعودية، 1410هـ. / 1980م..
- 50 - د. عزيزة فوال بابتي، التطور الحضاري (من بدء خلافة الراشدين إلى نهاية خلافة الأمويين)، دار الشمال، طرابلس - لبنان، ل.ت..

- 51 - علي روائي، الخط العربي، نشأته، تطوره، قواعده، خط الثلث والنسخ، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ل.ت..
- 52 - د. عمر فروخ، الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، دار لبنان، ط3، بيروت- لبنان، 1983م..
- 53 - د. عوض بن حمد القوزي، الأصوليين الفقهاء والنحاة، مجلة الدارة، السنة 13، العدد4، الرياض- السعودية، 1408هـ- 1988م..
- 54 - الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1402هـ./ 1982م..
- 55 - فاطمة الجامعي الحبابي، جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ندوة تكريمية لعميدها عبد الوهاب التازي سعود، أبحاث وأعلام (5)، تمارة - المغرب، ل. ت..
- 56 - د. فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، دار الغد العربي، القاهرة - مصر، ل. ت..
- 57 - د. فرانتر روزنتال، مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي، دار الثقافة، ط4، بيروت- لبنان، 1403هـ./ 1983م..
- 58 - فوزي سالم العفيفي، جامع الخط العربي، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق - القاهرة، 1416هـ./ 1996م..
- 59 - القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت. 671هـ.)، تفسير القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط2، القاهرة- مصر، 1372هـ..
- 60 - كامل البابا، روح الخط العربي، دار العلم للملايين/ دار لبنان للطباعة والنشر، ط2، بيروت- لبنان، 1988م..
- 61 - كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط والزخرفة العربية، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت - لبنان، 1420هـ./ 1999م..
- 62 - الكتاني (عبد الحي بن شمس الكتاني)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، الناشر حسن جعنا، يطلب من محمد أمين دمج، بيروت- لبنان، ل.ت..

- 63 - كوبرلر يونج، أثر الإسلام الثقافي على المسيحية، مجلة آفاق الإسلام، السنة 5، العدد 1، عمان- الأردن، آذار 1997م..
- 64 - لطفي خوري، ألفاظ عربية في المصطلحات الموسيقية الهندية، مجلة التراث الشعبي، السنة 10، العدد 18، بغداد- العراق، 1979م..
- 65 - مالك القعقور، أي مساهمة للعرب في علم الفلك ونظريات العلوم الحديثة، جريدة الحياة، 24 / 8 / 1995، مقالة عن كتاب " نحن والعالم"، للكاتب سالم يفوت.
- 66 - محمد بن سعيد شريقي، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي، دراسة فنية في تاريخ الخط العربي، دار ابن كثير، دمشق- سورية/ بيروت- لبنان، دار القادري، دمشق- سورية/ بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ. / 1988م..
- 67 - محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي (ت. 454)، مسند الشهاب، تحقيق حمدي ابن عبد الحميد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1407هـ. / 1986م..
- 68 - محمد حسين فنطر، فوزي محفوظ، عبد الحميد الأرقش، الحضارة الإسلامية في تونس، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، مطبعة الهلال العربية، الرباط- المملكة المغربية، 1417هـ. / 1997م..
- 69 - محمد عبد الرحيم غنيم، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان- المملكة المغربية، 1953م..
- 70 - محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، ط3، دمشق- سورية، 1403هـ. / 1983م..
- 71 - محمد محمد حسن شراب، في أصول تاريخ العرب الإسلامي، دار القلم، دمشق- سورية، دار الشامية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ. / 1993م..
- 72 - د. محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، ط1، القاهرة- مصر، 1408هـ. / 1988م..

73- محمود النبوي الشال، د. مها محمود النبوي الشال، الفنون التشكيلية في الحضارة الإسلامية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2000م..

74- مسلم (بن الحجاج القشيري النيسابوري ت. 261هـ.)، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ل.ت..

75- د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الإرشاد، ط2، بيروت- لبنان، 1388هـ. / 1968م..

76- المقرئزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئزي)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، إعداد: د. سمير سرحان، د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، سلسلة التراث، الإسكندرية- مصر، 1998م..

77- المنجد في اللغة والأعلام قسم الأعلام، المنجد في اللغة، ط 35، المنجد في الأعلام، دار المشرق، ط2، بيروت- لبنان، 1996م..

78- النيسابوري (محمد بن عبد الله ت. 405هـ.)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 1411هـ. / 1990م..

79- د. نيقولاوس فان دام (التحرير)، د. يان بروخمان، كورنيلس خ. براور، د. ألكسندر ه. ده خروت، د. بن ي. سلوت، يان يوست فيتكام، هولندا والعالم العربي منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين العلوم- اللغة- التجارة - الثقافة والفن، مقدمة لمعالي وزير الخارجية الهولندي السيد هانس فان دن بروك، تعريب أسعد جابر، (Lochem) لوشم بالتعاون مع وزارة الخارجية في لاهاي، هولندا، 1987م..

80- د. هشام أبو رميلة، الإسبان والحضارة الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، م 30، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت - الكويت، ذو القعدة 1406هـ. - ربيع الآخر 1407هـ. / يوليو- ديسمبر 1986م..

- 81- الهيثمي (علي بن أبي بكرت. 807هـ.)، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث- دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، بيروت- لبنان، 1407هـ..
- 82- د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط3، دمشق- سوريا، 1409 هـ. / 1989 م..
- 83- ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993م..
- 84- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، سلسلة الموسوعات العربية، راجعته وزارة المعارف العمومية، دار المأمون، مكتبة عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة- مصر، ل.ت..
- 85- د. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت - لبنان، 1998م..
- 86- يوحنا كريستوف بيرغل، الوجه المزدوج للطب في الحضارة الإسلامية(1)، جريدة الحياة، العدد 11364، 1994/3/29م..
- 87- يوسف نويهض، الموجات الحضارية بين العرب وسكان شبه القارة الباكستانية الهندية، مجلة الوعي، العدد2، الكويت- الكويت، أيار 1967م..

المحتوى

الموضوع	الصفحة
الإهداء	7
المقدمة	9
الفصل الأول: اللغة العربية والخط	13
تمهيد	15
اللغة العربية وضبطها	16
النحو	19
الشعر والنثر	25
الخطابة والنثر	27
المناظرات الكلامية	30
المقامات	32
الخط العربي	33
هندسة الحروف	42
الفصل الثاني: العلم والتراث - الجامعات والمكتبات	45
الدعوة الى طلب العلم	47
النشاط الثقافي	50
العلوم التي كان المسلمون يتداولونها في العصر النبوي	53
أماكن العلم	56
المكتبات	65
المكتبة عزيزة على العالم	68
المكتبات ونفقاتها	69
المكتبات في الأندلس	71
نكبة المكتبات	71
نفائس المكتبات	74

79	الفصل الثالث: الترجمة والنقل والبحث العلمي
81	الترجمة والنقل
89	البحث العلمي
92	تتبع المنهج التجريبي
99	العلماء والبحث العلمي
100	منجزات المنهج التجريبي
	الفصل الرابع: من أثر حركة الترجمة والعلوم الإسلامية في
105	الأندلس
107	تمهيد
113	الحركة العلمية
115	إقبال الغربيين على حضارة المسلمين
116	مدرسة ألفونسو للترجمة في الأندلس في مدينة مُرسِيَه
118	أفضل المترجمين في الأندلس
120	تحدد حركة الترجمة
121	انتشار العربية
125	أثر اللغة العربية في اللغات الأوروبية
128	كلمات عربية في لغات أوروبية في مجال الملاحة والفلك
130	حول التعليم والمكانة العلمية
132	الأدب العربي ودخوله في الأدب الأوروبي
139	ملحق الصور
150	المصادر والمراجع
159	الفهرس

